الجمهـورية الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية: الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

ملامح الوظيفية في التراث اللغوي العربي
-كتاب سيبويه أنموذجا-

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية والأدب العربي
تخصص: لسانيات عامة

من إعـداد الطالبـتين:
- ✓ مريم بن عيشة
- ✓ مريم كنيوه

إشراف الدكتورة:
إسمهان ميزاب

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
فاطمة عبابة	أ. محاضر-أ-	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-	رئيسا
أسمهان ميزاب	أ. محاضر-أ-	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-	مشرفاً ومقرراً
سلوى تواتي طلبية	أ. محاضر-أ-	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-	ممتحنا

الموسم الجامعي: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ سورة طه الآية25-27

شكـــــــــر وعـــرفـــــان

تتقدم بجزيل شكرنا وعظيم امتناننا للأستاذة المشرفة "الدكتورة إسمهان ميزاب " ، على تحملها معنا مشاقة البحث ، فبفضل الله أولا ثم بفضلها ثانيا استطعنا الوصول إلى مبتغانا ، فكانت لنا سندا وعونا مشجعا ومقوما فلها منّا كل الشكر على رحابة صدرها وحسن تعاملها معنا ، نسأل الله لها العفو والعافية .

كما نتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأعضاء اللجنة الكريمة الذين سيحملون على عاتقهم تقويم بحثنا وما جاء فيه من هفوات . ولكل من لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته فصوب أخطاءنا وبث روح العمل والمثابرة بداخلنا ولكل من ساهم في تقويم عملنا وعمل على إفادتنا

في هذا البحث المتواضع

وأسمى عبارات الحب والعطاء والشكر الممزوج بروح الامتنان والفضل الذي لا تقوى على رده إلا بدعوات نابعة من القلب لكل من ضحى براحته ووقته في سبيل تحصيلنا العلمي وتحمل معنا متاعب البحث في هذه الظروف العصيبة

مريم مريم

مقـــدمة

إن اللسانيات الحديثة تعكس فترة من فترات تطور الفكر اللغوي الإنسان، وقد درج مصنفوا المدارس اللسانية على التمييز بين فكر لساني قديم، وفكر لساني حديث مع العلم أن أغلبهم ينزع إلى إقصاء النتاج اللغوي القديم من مجال التفكير اللساني على اعتبار أن تاريخ اللسانيات الحق يبدأ مع القرن التاسع عشر بما اصطلح على تسميته باللسانيات التاريخية أو اللسانيات المقارنة.

وقد تتعدد النظريات اللغوية والتي أهمها النظرية الوظيفية التي تعنى بكيفية استخدام اللغة، وبقيمتها الاتصالية ومنه فهو يسند إلى البعد التداولي للغة باعتبارها وسيلة تواصل.

وبذلك فإن الاتجاه الوظيفي يربط بين النظام اللغوي وكيفية توظيف هذا النظام لأداء المعاني، حيث نجد الوظيفتين يراعون الأشكال الدلالية المختلفة للقول بالنظر إلى المقال الذي يرد فيه ويكزون على ضرورة ربط اللغة بالبنية الاجتماعية.

وأحمد المتوكل أول الباحثين العرب المحدثين الذي يبنى هذه النظرية حيث قدم كتابات عديدة تصف وتفسير كثيرا من قضايا اللغة العربية منظورا إليها من وجه وظيفية واستطاع أن يرسم معالم واضحة لنظرية وظيفية جديدة سماها نحو اللغة العربية الوظيفي وأن يقدم نظرية متماسكة عدها لبنة أولى لمنهجية تمكن من إعادة قراءة الفكر اللغوي العربي القديم، وإدماجه في الفكر اللساني الحديث واستثماره في وصف اللغات الطبيعية ويعد "الكتاب" لسيبويه أقدم دستور في التراث العربي احتوى النحو واللغة والبلاغة والمنطق والفقه ويعد مرجعا أول للنحو العربي وفيه قوانين فكر اللغة، وليس مجرد قواعد لتعليم النطق السليم والكتابة الصحيحة والمتمعن فيه يجد أنه ركز في كثير من أبوابه على المعنى الوظيفي التي تعكسه التراكيب وتأتي لخدمته.

وفي هذا الإطار يندرج موضوع بحثنا المعنون بملامح الوظيفية في الدرس اللغوي العربي "الكتاب" لسيبويه– أنموذجا– فالكتاب لسيبويه من أبرز الكتب التي يظهر فيها الربط

بين البنية والوظيفية فقد تحدث عن درجات مقبولية الكلام رابطا إياها بالمقام، كما نافش توزيع الحركة الإعرابية مستحضرا جوانب التداولية، وربط التقديم والتأخير بالمقصد والغاية و فسر صور الإلغاء والتعليق بحسب الحالات التي يكون عليها المتكلم والمخاطب.

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع ما يلي:

-لفت انتباهنا الشهرة الكبرة التي ميزت أعمال سيبويه التي تعالج النظرية الوظيفية.

-أردنا في هذا البحث المزاوجة بين معطيات الحديث (في الوظيفية) واجتهادات القديم (الكتاب لسيبويه).

وقد كان بديهيا البحث في الدراسات السابقة في هذا الموضوع وقد لاحظنا أنه موضوع حديث والاهتمام به بدأ في الآونة الأخيرة فقط، وما زال الخوض فيه ممكنا فلم تسير كل أغواره ولم تفك كل رموزه وطلاسمه وهو أحد دوافع البحث كما سبق التذكير، ومن الدراسات السابقة لهذا الموضوع نذكر على سبيل المثال: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ليحي يعطيش، أطروحة دكتوراه في اللسانيات العربية الحديثة، جامعة منتوري قسنطينة (الجزائر) كلية الآداب واللغات، 2005، 2006، تيسير النحو العربي من خلال كتاب الوظائف التداولية في اللغة العربية، لأحمد المتوكل لفطيمة زايدي مذكرة ماجستير في اللغة العربية، تخصص لسانيات عربية جامعة باتنة (الجزائر) كلية اللغة والآداب العربي والفنون 2015، 2016.

ومن هنا نطرح الإشكالية العامة الثانية فيما تمثلت ملامح الوظيفية في التراث العربي؟ وفيما تجسدت ملامح الوظيفية عند سيبويه في "الكتاب"؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية ونظرا لطبيعة الموضوع اخترنا أن نعالجه وفق الخطة التالية: مقدمة، ويليها ثلاث فصول، الفصلين الأول والثاني نظري

الأول يتناول مفهوم الوظيفة وأعلامها والثاني يتناول تصنيف الوظائف اللغوية والفصل الثالث تطبيقي يتناول ملامح الوظيفة في الكتاب لسيبويه ويليه الخاتمة معتمدين على "المنهج الوصفي القائم على التحليل" الذي يعتمد على وصف المفاهيم والمصطلحات ذات الطابع الوظيفي، وإستعنا بالمنهج الوظيفي في تحليل النصوص المختارة لسيبوه في الكتاب.

وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي لنادية رمضان النجار، وكتاب قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية لأحمد المتوكل وكأي بحث ينجز فقد واجهتنا مجموعة من العوائق والصعوبات تمثلت في صعوبة التعامل مع الكتب المتوفرة في الشبكة العنكبوتية فالتعامل مع هذا الصنف متعب وشاق لا يمكن أن يعوض الكتب الورقية، وضيق الوقت الذي حال بيننا وبين الاطلاع المعمق.

ونختم مقدمتنا هذه بالشكر الجزيل، والتقدير الكبير جدا للأساتذة المشرفة الدكتورة إسمهان ميزاب على توجيهاتها القيمة التي أمدتنا بالعون طيلة فترات البحث.

الفصل الأول

الوظيفية: مفهومها وأعلامها

أولاً– مفهوم الوظيفيّة

ثانياً– أعلام الاتّجاه الوظيفي

ثالثاً– تصنيف وظائف اللغة

أولاً- مفهوم الوظيفيّة:

1- لغة:

إنّ الباحث في المعاجم اللّغويّة تستوقفه جملة من المعاني تختصّ بالجذر اللّغوي لمادّة (و. ظ. ف)، وخير من تناول هذا المصطلح اللّغوي التّداولي هو ابن فارس في مادّة (و. ظ. ف)"الواو والظاّء والفاء"، كلمة تدلّ على تقدير شيء، يقال وظَّفتُ له، إذا قدرتُ له كل حين شيئا من طعام أو رزق، ثمّ اُستعير ذلك في عظم السّاق، كأنّه شيء مقدّر، وهو ما فوق الرّسغ من قائمة الدّابة إلى السّاق، ويقال وَظَّفتُ البعير، إذا قصرت له القيد ويقال: مرّ يظِفهُم، أي يتبعهم كأنّه يجعل وظيفة بإزاء أوظفتهم[1].

وجاء المصطلح في لسان العرب لابن منظور في مادّة (و. ظ. ف):" وظّف الوظيفة من كلّ شيء ما يقدر له في كلّ يوم من رزق أو طعام أو علف، وجمعها الوظائف والوُظف، ووظّفت الشيء على نفسه، ووظّفه توظيفا ألزمها إيّاه، وقد وظّفت له توظيفا على الصّبي كلّ يوم حفظ آية من كتاب الله عزّ وجلّ، والوظيف لكلّ ذي أربع: ما فوق الرّسغ إلى مفصل السّاق[2]".

الوظيفيّة في المعجم الوسيط هي" ما يقدّر من عمل أو طعام أو رزق وغير ذلك في زمن معيّن، والعهد والشّرط والمنصب والخدمة المعيّنة[3]، وجمعها وُظُفٌ، ووظائف، ويقال: للدّنيا وظائف ووظف: أي نُوَبُ ودُوَل"3، ما يمكن الوصول إليه من خلال هذه المعاني، هو أنّ كلمة الوظيفيّة بالرّغم من تعدّد معانيها، إلاّ أنّها لم تخرج عن كونها ما لازم الشّيء فأصبح جزءاً منه، أو ما إعتاده الكائن فلم يستطع التّخلي عنه، سواء كان في تركه ضرر وهلاك كالطّعام والشّراب للإنسان والحيوان، أو لم يكن ذلك.

---

[1]-أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تر: عبد السّام محمّد هارون، دار الفكر، 1972م، ج6، ص122.

[2]-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، مج9، ص 35.

3- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمعجمات واحياء التراث، القاهرة،دط، 1972، ج2، ص1100.

أمّا المعنى الاخر لكلمة الوظيفيّة، فقد ارتبط بالحياة الحضريّة المستمدّة من الثّقافة العربيّة الإسلاميّة الّتي سادت العالم، وتمثّل ذلك بصفة خاصّة صيغتي فعل وظّف ومصدره التّوظيف، فقد ورد بمعنى الالتزام أو الالزام، كأن يلتزم الانسان بشيء معيّن، أو يلزم غيره به، كإلزام شيخ الكتّاب مثلا حفظ القرآن من الصّبيان المتعلّمين حفظ مقدار معين من الآيات القرآنيّة كلّ يوم...وقريبا من هذا المعنى استعملت الصّيغتان السّابقتان من التّراث الّصوفي، حيث كان شيخ الطّريقة "يوظّف" على المريد الأوراد أو الوظائف الّتي تصبح بمثابة شرط أو عهد يلتزم به المريد ليصبح من أهل النّسبة أو الطّريقة[1].

2- اصطلاحا:

نسبة إلى الوظيفة، كقولنا مدرسة لغويّة نسبة إلى اللّغة.

عرّفها الحنّاش بقوله:" مصدر صناعيّ من (وظَّف): وهي عند الاتّجاه الوظيفي التّداولي تعني ارتباط بنية اللّغة بوظيفة التّواصل والتّبليغ والبيان، ارتباطا يجعل البنية انعكاسا للوظيفة وتابعا لها، وتقوم الوظيفيّة على أن لا اعتبار للوحدات اللّسانيّة إلاّ من خلال الدّور الّذي تلعبه في التّواصل[2]".

والوظيفيّة عند أحمد المتوكّل، ترتبط بثلاثة أنواع هي: الوظيفة علاقة والوظيفة دورا والوظيفة جسر العبور.

أ- **الوظيفة علاقة:** "حين يرد مصطلح الوظيفة دالاً على علاقة فالمقصود هنا العلاقة القائمة بين مكوّنين أو مكوّنات من المركّب الاسمي أو الجملة"[3].

يعني هذا البحث عن وظيفة العلاقة الّتي يمكن أن تقوم بين عناصر الجملة الواحدة أو بين الجملة داخل نفس النّص، أو بين النّصوص الّتي ينتظمها الخطاب الواحد، فقد صنّف

[1]- محمّد بن عبد الكريم، التّصوّف في ميزان الإسلام، دار هومة، الزائر، ط1، 1997م، ص 63إلى ص 65.

[2]-محمّد الحناش، البنيويّة في اللّسانيات، دار الرّشاد الحديثة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1401هـ/1980م، ص 96.

[3]- أحمد المتوكّل، التّركيبات الوظيفيّة قضايا ومقاربات، مكتبة دار الأمان، الرّباط، المغرب، ط2005، 1م، ص 21-22.

المتوكّل هذه العلاقات إلى أربعة أصناف هي[1]: وظائف دلاليّة، ووظائف تركيبيّة، ووظائف تداوليّة، ووظائف بلاغيّة.

ولهذا نجد المصطلح الوظيفة متداولاً في جلّ الأنحاء الشكليّة(الصّوريّة)، وفي الأنحاء ذات المعنى الوظيفي، ففي الأنحاء الصّوريّة "يستعمل هذا المصطلح للدّلالة على العلاقات التركيبيّة كعلاقة الفاعل والمفعول غير المباشر"4، وفي الأنحاء ذات المعنى الوظيفي يستخدم مصطلح الوظيفيّة للدّلالة على العلاقات الّتي يمكن أن تقوم داخل الجملة أو داخل المركّب، وقدّم لنا المتوكّل مثالا لذلك، أنّ النّحو الوظيفي يميّز بين ثلاث مستويات من الوظائف: وظائف دلاليّة (منفذ- متقبل- مستقبل)، ووظائف تركيبيّة (فاعل-مفعول)، ووظائف تداوليّة(البؤرة-المحور).

ب- الوظيفة دورا: يقصد بالدّور "الغرض الّذي تسخّر الكائنات البشريّة اللّغات الطّبيعيّة من أجل تحقيقه[2]"، أي وظيفة تأدية اللّغة عند الانسان من أجل تحقيق الهدف المرجو الوصول إليه، وبالتّالي جعل المتوّكل التّواصل بنية أساسيّة وضروريّة لا يمكن فصلها عن بنية اللّغة.

وأضاف المتوكّل في كتابه (الخطاب الموسّط) وظيفة ثالثة وهي:

ج- الوظيفة جسر العبور: يقصد بجسر العبور "التّرجمة"، أي نقل نص من لغة إلى لغة أخرى، وهذا النّقل إمّا أن يكون على مستوى البنية السطحية، أو على مستوى البنية التحتيّة، أي عن طريق استنساخ الإطار الصّرفي-التّركيبي للنّص المصدر مع إدماج مفردات اللّغة الهدف فيه، ولا يحصل هذا في مستوى اللّفظ بل على مستوى المعنى[3].

ونجد الدّكتور عبد الرحمن الحاج صالح يفسّر الوظيفة بالعمل أو الدّور المؤدّي(التّبليغ)، والوظيفة عنده نسبة إلى هذا حيث يقول عن مدرسة براغ: "أخصّ شيء

---

[1]-أحمد المتوكّل، الخطاب الموسّط (مقاربة وظيفيّة موحّدة لتحليل النّصوص والتّرجمة وتعليم اللّغات)، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرّباط، المغرب، ط1، 2011م، ص 39.

[2]-أحمد المتوكّل، التّركيبات الوظيفيّة قضايا ومقاربات، ص 22-23.

[3]- ينظر الخطاب الموسّط (مقاربة وظيفيّة موحّدة لتحليل النّصوص والتّرجمة وتعليم اللّغات)، ص 41-42.

تمتاز به هذه المدرسة عن غيرها هو اعتمادها الاساسي على العمل (أو الدّور)الّذي تؤدّيه العناصر اللّغويّة في عمليّة التّبليغ، ولهذا سمّيت النّزاعات المتفرّعة عنها (ومنها مدرسة مارتيني الفرنسيّة)بالوظيفية"[1]، وإلى هذا المصطلح تنسب مدارس واتّجاهات لغويّة بدأت تبرّر مع ظهور مدرسة براغ وتحاول أن تفسّر ظواهر اللّغة من كل جوانبها[2].

ومن علماء الغرب (ميشيل)الّذي عرّف الوظيفيّة بقوله:" هي اتّجاه ظهر في علم اللّغة الحديث، يهتمّ بالجانب الوظيفي للّغة، ولا يمكن النّظر إلى اللّغة على أنّها تركيبيّة تتجرّد من السّياق الاجتماعي والثّقافي، إذ تعدّ اللّغة ظاهرة اجتماعيّة تتأثّر بالمنظومة الاجتماعيّة والثّقافيّة وتؤثّر فيها، وتشترك النّظريات اللّغويّة والوظيفيّة جميعها في التّركيز على الدّلالة، والاستخدام الفعلي للّغة، والعوامل البرجماتية المؤثّرة في استخدامها، كما يلعب السّياق دورا كبيرا من النّاحية دلاليه.

إنّ المعنى الاصطلاحي:" عبارة عن اتّجاه حديث يهتم باللّغة وظيفتها الرّئيسية وهي التّبليغ والإيصال[3]".

[1]– عبد الرّحمان الحاج صالح، مدخل إلى علم اللّسان الحديث(3)، مجلّة اللّسانيات، المجلّد الثّاني، العدد1، الجزائر، 1972م، ص 54.

[2]–يحي أحمد، الاتّجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللّغة، مجلّة الفكر الالسنية، تصدّرها وزارة الاعلام، الكويت، المجلد20، العدد3، 1989م، ص70.

[3]–ماركاثي، قضايا علم اللغة التطبيقي، دار الثقافة، العدد1، 2005م، ص231.

ثانياً- أعلام الاتّجاه الوظيفي:

قد أسهم في نشأة الاتّجاه الوظيفي كثير من الباحثين الّذين رفعوا راية الدّرس اللّغوي الحديث في أوروبا وأمريكا، وسنجمل أهمّ هؤلاء العلماء موضّحين أهمّ أفكارهم فيما يلي:

1- مدرسة براغ:

هي واحدة من أهمّ المدارس اللّسانيّة اللّغويّة في العالم، وظلّت إسهاماتها في حالة حركيّة دائمة عبر عقود القرن العشرين، ومازال فاعلا في مطلع القرن الحادي والعشرين، أمّا الطّريقة الّتي نشأت بها، فقد بدأت بتشكيل فريق من اللّغويين التّشيك والرّوس وغيرهم اتّجاها وصفيّا (1926م) يعتمد على مبادئ وأفكار (دي سوسير) في اللّغة، باعتبارها نظاما من الرّموز، وتميّزت آراء أعلامها بالرّبط بين اللّغة ووظيفتها أي تحليل اللّغة بهدف الكشف عن وظائف مكوناتها البنيويّة، وهو مبدأ وسمة فارق بينهما وبين المدارس الأخرى المعاصرة لها[1].

أ- برنامجها:

يعدّ برنامج "مدرسة براغ" إسهاما في لون جديد يتصّل بأهداف النّظريّة اللّسانيّة، وقد وجّه أنظار اللّسانيين إلى ميادين من البحث اللّساني لم تظهر إلّا في العقدين السادس والسابع من القرن العشرين ويتمثّل فيما يلي:

- التّركيز على دراسة الوظيفة الحقيقيّة للّغة، والّتي تتمثّل في الاتّصال (كيفيّته ومناسبته، ولمن يوجه)، لأنّ اللّغة-بالدّرجة الأولى-نظام للاتّصال والتّعبير من أجل الرّضى والتّفاهم المشترك.

- اللّغة حقيقيّة واقعيّة ذات واقع مادّي يتّصل بعوامل خارجيّة، بعضها يتعلّق بالسّامع، والآخر يتعلّق بالموضوع الّذي يدور حوله الاتّصال أو الكلام، وهكذا يكون من الضّروري

[1]- نادية رمضان النّجّار، الاتجاه التّداولي والوظيفي في الدّرس اللّغوي، مؤسسة حوس الدّوليّة، ط1، 2013م، ص158.

التّمييز على المستوى النّظري والعلمي بين لغة الثّقافة بصفة عامّة، ولغة الأعمال الأدبيّة، والمجالات العلميّة والصّحف، ولغة الشّارع.

– على البحث اللّساني أن يحيط بالعلاقة بين البنية اللّسانيّة والافكار والعواطف الّتي توصلها هذه البنية، لأنّ اللّغة تتّصل بكثير من المظاهر العقليّة والنّفسيّة للشّخصيّة الإنسانيّة[1].

– اللّغة المكتوبة واللّغة المنطوقة لا تتطابقان، فلكلّ منهما خصائصها المميّزة، ومن ثمّ فإن العلاقة بينهما تحتاج إلى دراسة علميّة.

– يجب أن يتّجه البحث الفونولوجي إلى دراسة التّقابلات الفونوميّة، ولا ينبغي فصل الظّاهرة المورفولوجيّة عن الظّاهرة الفونولوجيّة.

– إعطاء الأولويّة للبحث الوصفي لما له من تأثير على الواقع اللّساني الفعلي، دون استبعاد الدّراسة التّاريخيّة لأنّ النّظام اللّساني الكامل لابدّ أن يكون تاريخيّا في ضوء الوصفيّة.

– المنهج المقارن في اللّغة يجب أن يتلخّص في محدوديّة الملاحظة، وعليه يمكّن الباحثين من بناء أنماط مميّزة للّغات.[2]

ب– أعلامها:

من أعلامها؛ ف ماتيسيوس (V. Mathesius)1882 م، وب. ترنكا (B.Trinka)، و ب.هافرانيك (B.Havranek) وي.موكارفسكي(Y.Mukarovsky)الّذي كان منظّرا في مجال الدّرس الأدبي، لويس هبلمسليف (L.Hybmsve)1965 م.

1. ماتيسيوس:

جاء ماتيسيوس موضّحا تطوّر "مدرسة براغ" في تبنّي الاتّجاه الوظيفي، فيذكر قائلا: "حقّقت الأفكار الّتي أذاعتها مدرسة براغ اللّغويّة نجاحا سريعا، لأنّها لم تكن وليدة الصدفة، وإنّما كانت نفي بـ (ضرورة فكريّة ملحّة) لدى هذه المجموعة العلميّة الدّوليّة"، وتعدّ بنيويّة براغ خطوة في تطوير الفكر النّظري الّذي ساد القرن العشرين، فهي كانت بمثابة محطّة من

[1]–بوقرة نعمان، المدارس اللّسانيّة المعاصرة، القاهرة، د ت، د ط، ص89–90.

[2]بوقرة نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 90

محطّات النّموذج المعرفي ما بعد الوضعي في اللّغويات والشّعريّة، الّذي استهلّه " دي سوسير" والشكلانيون الرّوس.[1]

2. لويس هيلمسليف:

1.أسهم "هيلمسليف" بفكرة تحليل المعنى، وذلك بالكشف عن الوظائف الّتي تحدّده، مشيرا إلى أنّ دخول الشّكل اللّغوي في إطار علاقات بنية معيّنة، وهو الّذي يحدّد وظيفته ويحدّد معناه.

2.ثمّ جاء "هيلمسليف" بالجلوسماتية الّتي عدّت الوظيفيّة من خلال فهم رياضي صارم علاقة تبعيّة بين قطبين، علاقة تنشأ بين نقطتين ثابتتين في هذه العلاقة الدّالّتين.

3. ولم يجوّز "هيلمسليف" أن تصنّف وحدات لغويّة ما إلاّ طبقا لوظيفتها وليس طبقا لمعناه.

4.إنّ "هيلمسليف" لا ينفي عن اللّغة وظيفتها، والدّليل على ذلك ما أتى به "جون دويرا"في معجمه، حيث يقول إنّ"هيلمسليف "يهتم بالوظيفة في إطار العلاقات النّحويّة الّتي تربط بين الجمل في اللّغة، لكنّه يضيف قائلا: "إنّ النّص اللّغوي يمتاز بكونه قابلا للتّحليل إلى وحدات جدّ صغيره عكس ما نجده في بعض الأشكال من التّواصل، مثل إشارات المرور الضّوئيّة الحمراء والخضراء، فإذن تظهر اللّغة كنظام من الأشكال خلافا لأنظمة التّواصل المؤلّفة من علامات غير قابلة للتّحليل، مثل إشارات المرور والنّظام الحركي... الخ[2]". ويستنبط من كلامه أنّ وظيفة التّواصل قائمة في اللّغة، غير أنّه من الأولى والأحقّ أنيولي الباحث اللّساني اهتمامه وعنايته لدراسة هذا النّظام من ناحية وظيفته كوظيفة، أي الغاية منه والنّفع الّذي نجلبه منه، بل يجب أن يتغاضى من هذا الجانب ليدرس اللّغة كميدان للبحث خاص متجرّد عن باقي الجوانب الّتي نحتاج فيها إلى استعارة مناهج أخرى لكي ندرس بها اللّغة، وعلينا أن نهتم بالوظيفة الّتي تكمن في العلاقات اللّغويّة، وبذلك اقتصر "هبلمسليف" في ميدان بحثه عن اللّغة[3].

---

[1] نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص 160

[2] – نفسه، ص 160.

[3] –المرجع نفسه، ص 161

3. رومان جاكبسون:

إنّ نشاطات جاكبسون العلميّة متنوّعة للغاية، وتعكس اهتمامات مدرسة براغ بوجه خاص، وقد نقل هذه النّشاطات والأفكار إلى الولايات المتحدة الأمريكيّة، موليا اهتماما كبيرا بمفهوم الوظيفة، وقد أبدع في عدّة مجالات منها الفونولوجيا والانثروبولوجيا والأسلوبيّة وعلم النّفس اللّغوي وعلم الدّلالة، ونظريّة الإعلام، ونظريّة الأدب وعروض الإشعارات الرّوسيّة والتّشكيليّة، والتّطور اللّغوي عند الأطفال المعاقين، وكذلك الفلكلور[1].

وقد اشتهر جاكبسون بنظريته الفونولوجيّة الّتي تنص على وجود نظام سيكولوجي كلّي (Universel) منتظم وبسيط، تشترك فيه جميع اللّغات البشريّة، وتؤكّد على أنّ الخلافات الموجودة بين مختلف الأصوات الكلاميّة ما هي إلاّ عبارة عن خلافات سطحيّة لنظام تحتي ثابت، ومن هذا المنطلق هاجم جاكبسون دي سويسر وفرانتز بوعز على النّسبيّة الفونولوجية الّتي ذهبا إليها، وبيّن في كتابه "مقدّمة في تحليل الكلام"، أنّ ثمّة نظاما فونولوجيّا كليّا يتضمن اثنتي عشرة سمة مميّزة تتّصف بها كل اللّغات الإنسانية، ومن بين هذه السّمات؛ صائد/صامت، مجهور/مهموس، زفيري/شهيقي، أنفي/شفوي، غليظ/حاد، رخوي/شديد، مزيد/غير مزيد، مكثّف/منفلش ...الخ. وعلى خلاف اللّسانيين الآخرين فإنّ جاكبسون إنكب على تحليل الفونيمات إلى سماتها المكوّنة لها، عوض النّظر في كيفيّة توسيعها ضمن الوحدات المفرداتيّة المختلفة، كما عني بالتّحليل السّمعي بالدّرجة الأولى مستعملا آلات خاصّه لتحليل الأصوات على شكل موجات صوتيّة وتوصّل بهذه الطّريقة إلى اكتشاف مجموعة من العناصر الصّوتيّة الكليّة[2].

*** ملامح الوظيفيّة عند رومان جاكبسون:**

أ) ثنائيّة التّفكير الألسني :

يرى جاكبسون أنّ العلاقة الثّنائيّة تسيطر على مختلف المستويات اللّغويّة، فكما نجدها في الأصوات نجدها في الدّلالة وفي غيرها، ومن العلاقات الثّنائية الّتي أقرّها:

---

[1]– أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتّطوّر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ط2، 2005م، ص 147.

[2]–المرجع نفسه، ص 148.

1. التّزامن والتّعاقب: إنّ أولى الدّراسات الثّنائيّة الّتي يوليها جاكبسون إهتمامه ويخصّص لها حيّزا لا يستهان به في دراسته اللّغوية هي ثنائيه التّزامن والتّعاقب، التّزامنيّة كلمة وضعها دي سوسير في مقابل مفردة التّعاقب ليبرهن على أن التّزمن هو مقياس لدراسة أحداث لغويّة تكون بوقوعها المتزامن حالة من حالات اللّغة، أمّا التّعاقبيّة فهي الدّراسة التّاريخيّة للّغة في تطوّرها وتغيّرها[1].

2.المحور الاستبدالي والمحور النّظمي: تفسر النّظريات البنيويّة الحديثة التّراكيب اللّغويّة بمجملها بناء على العلاقة القائمة بين الإشارات الّتي تتكوّن منها هذه التّراكيب، وذلك على محورين أساسيين هما المحور الاستبدالي والمحور النّظمي، وهذا التّفسير يقوم كذلك على ثنائيّة كان دي سوسير أوّل من نادى بها.

3.الانتقاء والتّنسيق: يدرس جاكبسون اللّغة بشكلها المحكي فيركز فيها على تلك المظاهر التّواصليّة، ويسترعي انتباهه اعتماد الإنسان في كلامه على ظاهرتي الانتقاء والتّنسيق فيعرّفهما على أنّهما عمليتان في سيرورة الكلام، فالتّكلّم عنده يتطلّب عمليتين أساسيتين أوّلهما الانتقاء[2].

4. اللّغة الهدف وما وراء الهدف: فالهدف من اللّغة هو التّواصل .ما وراء اللّغة شرح المبهم من الكلمات.

5. الخطاب الخارجي والخطاب الدّاخلي: إن استعمال الكلام يستوجب وجود عنصرين، لا يكون الحديث إلاّ بهما وهما المتكلّم والمخاطب، وهذا التّواصل الخارجي، والتّواصل الدّاخلي فيه يكون المتلقّي والمرسل شخصا واحدا.

6. السّمات التّمايزيّة: في حين اعتمد مارتينيه وجود السّمات الثّنائية والسّمات الثلاثية والسّمات الرّباعيّة...، أصرّ جاكبسون على أنّكلّ سمة تمايزيّة هي ثنائيّة، فلم يعتمد في مجال الفونولوجيا على الوصف اللّفظي للفونيم، إنّما اعتمد على الوصف الّسمعي القائم على

---

[1]– فاطمة طبال بركة، نظرية الالسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1993م، ص 34.

[2]– المرجع نفسه، ص36–38.

خصائص الموجات الصّوتيّة، وقد مكّنته هذه الأبحاث من معرفة الخصائص التّمايزيّة الثّنائيّة[1].

ب) التّفريق بين النّحو والدّلالة:

يرى جاكبسون أنّ النّحو يهتمّ بعلاقات البنية الخطبة والتّركيب فيما بينه، أي يهتمّ بمحور الّتتابع (التّسلسل المنطقي)، وتعتمد الدّلالة على إبراز الفوارق بين التّراكيب، أي يهتمّ بمحور الاستبدالات، وهذا قد يؤدي بنا إلى اعتبار وظيفته وظيفية ضعيفة، وذلك كون النّحو الوظيفي لا يحصر دراسة النّحو في البنية الظّاهرة فقط، بل يراعي ملابسات الخطاب وحال المخاطبين ومقاصد الكلام وأغراضه[2].

2- المدرسة الفرنسيّة:

لم تتبلور النّظريّة الوظيفيّة في كل مظاهرها مع مدرسة براغ، فقد تواصل بناؤها وصقلت مبادئها ومفاهيمها في فرنسا عن طريق "ايميل بنفنيست" و"اندريه مارتينيه".

1. ايميل بنفنيست: يعدّ ايميل بنفنيست واحدا من أقطاب المدرسة الوظيفيّة، ومن أهمّ علماء اللّغة العالميين، وأهمّ ما جاء به:

• **<u>خصائص النّظام السيميولوجي عنده</u>:** يركّز ايميل بنفنيست على سمة الوظيفيّة الّتي تتّصف بها جميع أنظمة التّواصل وهو القائل: "إنّ السّمة الّتي تتّسم بها شتّى الأنظمة الّتي تمثّل المعيار الّذي يجعلها تدخل في نطاق السّيميولوجيا، هي قدرتها على الدّلالة أو مدلوليتها وتكوّنها من وحدات دلاليّة أو "علامات" ويجب علينا الآن أن نصف خصائص الأنظمة المميّزة.

إنّ النّظام السّيميولوجي تميّز بالخصائص التّالية:

- كيفيّة تأدية الوظيفة.

[1]- فاطمة طبال بركة، نظرية الالسنية عند رومان جاكبسون، ص 39-41.

[2]-نادية رمضان النّجّار، الاتجاه التّداولي والوظيفي في الدّرس اللّغوي، ص 162.

- مجال صلاحيته.
- طبيعة علاقاتها وعددها.
- نوعيّة توظيفيّة.

فأمّا كيفيّة التّأدية للوظيفة فإنّها الطّريقة الّتي يحصل بها النظام ولا سيّما الحاسّة(البصر، السّمع...الخ) الّتي يخاطبها[1].

وأمّا مجال الصّلاحيّة فإنّه المجال الّذي يفرض النّظام نفسه فيه بحيث يتحتّم التّعرّف عليه واتّباعه، وأمّا طبيعة العلامات وعددها فهي رهن الشّروط السّالفة الذّكر، وفيما يتعلّق بنوعيّة التّوظيف فإنّ العلاقة هي الّتي ترتبط بين العلامات وتمنح كل علامة وظيفة متميّزة أو مستقلّة عن الأخريات، ويعكس ايميل بنفنيست هذا الرّأي قائلا: "إنّ النّظرة السّيميولوجيّة تقلب هذه العلاقة، حيث أنّ اللّغة وحدها هي الّتي تسمح بوجود المجتمع، فاللّغة هي الّتي تجمع البشر وهي أساس العلاقات الّتي تؤسّس المجتمع.

وإذا نظرنا بعين الحقيقة، فإنّ اللّغة لم تأت إلاّ لتعزّز جانب التّبادل القائم بين بني البشر، ولا سيّما في المعاملات المادّية فاذا كان الانسان قد افتقد العنصر الّذي يجمع بينه وبين أخيه الإنسان فقد آلى على نفسه أن يعبّر عمّا يشعر به ليتبادل بذلك المنافع، سواء أكانت مادّيّة أم معنويّة أم خياليّة.

- **<u>وظيفة اللّغة في إقامة التّواصل</u>:** يذكر ايميل بنفنيست أنّ اللّغة" تتمثّل في القول الّذي يحيل إلى موقف ما، فإذا تكلّمنا فإنّنا نتكلّم دائما عن شيء ما يتكوّن من حيث الشّكل من وحدات مستقلّة تمثّل كلّ واحدة منها علامة.

وتنتج اللّغة المستقلّة في إطار قيم إشاريّة مشتركة بين أعضاء مجتمع واحد، وتمثّل اللّغة أيضا التّحقيق الوحيد للتّواصل بين ذات المتكلّم وذات المخاطب، وتمثّل اللّغة لهذه الأسباب مجتمعة النّظام السّيميوطيقي الأمثل، وتعطينا فكرة واضحة عن وظيفة العلامة، كما تنفرد بتقديم صورتها المتكاملة[2].

---

[1]– نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص 166.

[2]– المرجع نفسه، ص164

2. أندريه مارتينيه:

أمّا آراؤه اللّسانيّة ويمكن اجمالها فيما يلي:

• **<u>وظيفة اللّغة</u>:** يعدّ مارتينيه الوظيفة التّواصلية الوظيفة الأساسيّة للّغة في المجتمع اللّغوي، وهذه الوظيفة تؤدّيها اللّغة باعتبارها مؤسّسة إنسانيّة رغم اختلاف بنيتها من مجتمع لغوي إلى آخر فهي الوظيفة الجوهريّة للّغة عنده، ولكنّه لا ينفي بقيّة الوظائف الّتي تؤدّيها اللّغة، بل يقرّ بها ويعتبرها ثانوية، كما يرى أنّ اللّغة ليست نسخا للأشياء، ونقلا آليّا لها، بل هي بنى منظّمة ومتراصّة ومتكاملة، يتطلّع المتكلّم من خلالها إلى عالم الأشياء والأحاسيس، وهو ما ينتج الخبرة الإنسانية، فتعلّم لغة أجنبيّة مثلا لا يعني وضع علامات جديدة للأشياء المألوفة، وإنّما هو اكتساب نظرة تحليليّة مغايرة، بالتّعرّف على بنى لغويّة تعكس الواقع بطريقة مختلفة عن اللّغة الام[1].

• **<u>التّقطيع المزدوج:</u>** هذا التّقطيع يظهر في ميل الإنسان إلى التّعبير عن أفكاره ورغباته الذّاتيّة واهتماماته الشّخصيّة الّتي تمثّل تجربة في جوهرها، يسعى لإيصالها للغير، ويكون ذلك إمّا بصيحة فرح أو صرخة ألم، وإمّا بحركة دالّة، وهذا السّلوك لا يرقى إلى مستوى الإبلاغ اللّغوي، لذلك تفكّك التّجربة الإنسانيّة الّتي تيسّرت صياغتها في اللّغة إلى سلسلة من الوحدات الدّالّة، ثمّ إلى عدد من الوحدات الصّوتيّة.

يعتبر التّقطيع المزدوج أساس نظرية مارتينيه الّذي يرى أنّا الّسان البشري يختلف عن بقيّة الوسائل التّبليغيّة، لكونه مزدوج التّقطيع، أي أنّ الأقوال اللّسانيّة تتكوّن من مستويين مختلفين وهما:

*** مستوى التّقطيع الأوّل:**

وفيه نحصل على وحدات مضمون معنوي (المدلول) وصوت ملفوظ (دال)، وتسمّى هذه الوحدات مونيمات (Monèmes)، مثال:

رَاجَعْـ/ تُ دَرْ/سِـي

[1]–بوقرة نعمان، المدارس اللّسانيّة المعاصرة، ص 104.

نلاحظ أنّ هذا المثال يحتوي على أربع مونيمات متتابعة، ويسمّى معنى كل لفظة مدلولا، وصيغتها الصّوتيّة دالاّ، وهي وحدات صغيرة يستحيل تحليلها إلى وحدات دالّة أصغر منها، ويمكن استبدالها بوحدات أخرى ضمن قائمة مفتوحة مثل: كتبت درسي، قرأت قصّتي...الخ[1].

ويمكن تقطيع المونيمات إلى وحدات دنيا أيضا مجرّدة من كلّ دلالة، ولكنّها مميّزة تسمّى بالفونيمات، وهي محصورة في كلّ لسان، مثال،

كتب عمر درسه / نزل القرآن بلسان عربي

تقطّع إلى ستّة وحدات مميّزة أي ستّة فونيمات: ك/ ـَ / ت/ ـَ / ب/ ـَ، وكذلك: ن/ ـَ / ز/ ـَ / ل/ـَ

انطلاقا من هذا يكون التّقطيع المزدوج قانونا أساسيّا من قوانين اللّغة البشريّة.

•**<u>المبادئ الوظيفيّة للدّراسات اللّسانيّة</u>**: يحصرها مارتينيه فيما يلي:

○ **الصّلات القائمة بين الوحدات اللّسانيّة:** يدرس التّركيب اللّساني الوظيفي العلاقات بين الفونيمات، وما ينتج عن ذلك من تأثير في طبيعة التّراكيب، وتتحدّد وظيفة كل مونيم داخل الجملة انطلاقا من هذه العلاقة.

○ **رتبة الوحدات اللّسانيّة:** إنّ دراسة علاقة المونيمات فيما بينها وحدها لا تكفي لتحديد وظيفتها، بل يجب معرفة موقعها وانتظامها داخل التّركيب وفق ترتيب معيّن، فاختلاف الموقف يؤدّي إلى اختلاف وظيفتها التّركيبيّة.

○ **محتوى الوحدات اللّسانيّة:** ركّز مارتينيه على المحتوى الدّلالي للمونيم الّذي يكسبه دلالة خاصّة ومستقلّة عن غيره، تجعله يؤدّي وظيفة مميّزة داخل التّركيب.

○ **مفهوم الملاءمة:** تعتبر الملاحظة الموضوعيّة للمعطيات أساس كلّ علم، وهذه المعطيات متشابكة ومعقّدة، لذا يجب التّركيز على مظهر الموضوع، وعلى اللّسانيّ أيضا أن يتقصّى السّمات الخاصّة والملائمة للموضوع الّذي يسعى لدراسته، فاللّغة كباقي العلوم بها سمات

[1]– بوقرة نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 105.

ملائمة أو مناسبة لتحليلها (فالأعداد مثلا هي السّمات المناسبة في علم الحساب، والأشكال هي السّمات الّتي يجب التّركيز عليها في علم الهندسة)، وهذه الطّريقة تحدّد مستويات الدّراسة بدقّة ووضوح.

- **الاقتصاد اللّغوي:** تصوّر اللّغة مرتبط بشكل كبير بأسباب خارجيّة أهمّها: اتّصال بنية لغة ببنية لغة أخرى، وحاجة التّواصل داخل المجتمع هو أحد الأسباب الرّئيسيّة الّذي يساعد على تطوّر اللّغة.

ويشير مارتينيه هنا إلى أنّ هذه الأسباب الخارجيّة يكمن تأثيرها في ان دراجها في إطار بنية اللّغة، كما أنّه يركّز على وجوب المحافظة على التّفاهم والاتّصال الّذي يضمن للّغة البقاء والتطوّر[1].

- **الدراسة التركيبية:**

استطاع "مارتيبي" أن يطور التحليل التركيبي للجملة انطلاقا من النتائج التي وصلت إليها الدراسة الفونولوجية فوضع الخطوط الأولية لهذا التحليل الذي يقوم على أساس وظيفة العناصر اللسانية في التركيب وطرق ترتيبها.

3- المدرسة الإنجليزية:

يتعامل المنحنى الوظيفي عند مدرسة لندن مع المستويات والأنظمة الأربعة في التحليل اللغوي (الأصوات، والمفردات والنحو والدلالة) وبرز فيها توجهان أحدهما يتزعمه "فيرث" والآخر يتزعمه "هاليداي" وسنجعل دورهما فيما يلي:

1. "**فيرث**": ينظر "فيرث" إلى اللغة على أنها عملية اجتماعية أو نشاط اجتماعي أي أن نظرية "فيزث" اللغوية تقوم على أساس ارتباط اللغة بالفرد والمجتمع ولذلك فإن فكرة سياق

[1]- بوقرة نعمان، المدارس اللّسانيّة المعاصرة، ص107.

الحال أصبحت تعني عند فيرث دراسة اللغة كأداة اجتماعية، أي كأداة في المجتمع يستعملها الأفراد بقصد تحقيق أهداف وأغراض معينة.

ولكي يتم تحليل معنى الجملة حسب مقتضيات "سياق الحال" ينبغي الأخذ بعين الاعتبار العناصر التالية:

أ. الحقائق المنطلقة بالمشاركين في الحديث اللغوي كأن نذكر مثلا "ما إذا كان المشارك طفلا أو رجلا" ناضجا ذا مكانة اجتماعية مرموقة أو امرأة ويندرج تحت هذا العنوان الخافية الثقافية للمتكلمين[1].

ب. الأحداث اللغوية نفسها، أي العبارات المنطوقة بالفعل وكيفية نطق الجملة أو الجمل من حيث التنغيم أو النبر الخلافي وما يصاحب هذه الأحداث اللغوية من مظاهر لغوية غير منطوقة كحركة البدين وتعابير الوجه.

ج. الأمور المادية التي لها صلة مباشرة بالحديث اللغوي.

د. أثر العبارات اللغوية المنطوقة فعلا (أي ما يتبع النطق من السلوك اعتمادا على العبارات المنطوقة) فقد تؤثر جملة ما على أحد السامعين، ولكن لا تترك نفس الأثر في سامع آخر لاختلاف العادات والتقاليد[2]

2. هاليداي: اهتم هاليداي بما عرف بالنحو النسقي أو النظامي فوضع اسمه للنظرية وأصل البحث في إطار إتباعه ويعتبر من أكثر النظريات تكاملا عند مدرسة لندن ومن مبادئه:

- وظائف التراكيب تحدد إلى حد بعيد الخصائص البنيوية لها (الصرفية التركيبية...).
- النحو مبني على أساس تعدد وظائف اللغة طبقا للتركيب أو البناء اللغوي، فاللغة غنية يجد مستعملها ما يعبر به عن كل أفكاره ومشاعره[3].

---

[1]- ناديه رمضان النجار التداوي والوظيفي في الدرس اللغوي ص178.

يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر الألسنية ص32.

[2]- يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر الألسنية، ص83.

[3]- نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي الوظيفي في الدرس اللغوي، ص176.

ويقترح النحو النسقي وظائف ثلاثة للغة تمثلها البنية مرتبطة بالنشاط اللغوي والبيئة الاجتماعية وهذه الوظائف تؤديها رسائل ثلاث أيضا تسمى انساقا وهي:

أ. الوظيفة التمثيلية: وهي وظيفة تمثيل الواقع ويطابقها نسق التعدية. يتضمن نسق التعدية مفاهيم دلالية كمفهومي "المتقبل والمنفذ"، كما يشمل أيضا ظروف الكلام الحالية وملابساته.
ب. الوظيفة التعالقية: وهي وظيفة التعالق بين المشاركين ويطابقها نسق الصيغة ويعبر هذا النسق عن مفهومي "الجهة والقضية"، القضية بدورها مكونة من "فاعل وفضلة وتوابع"[1].
ج. الوظيفة النصية: وهي وظيفة تنظيم الخطاب المقتضى الحال ويطابقها نسق المحور يشمل العلاقات ذات الطابع التداولي إذ يعبر عن مفاهيم تداولية (أو نصية)، كمفهوم التعليق ومفهومي "المعطى والجديد". والوظائف الثلاثة تتكامل في بنية لغوية واحدة لتحقيق الوظيفة الأساسية للغة وهي التواصل، والإبداع، هذا الإبداع اللغوي يتمثل في قدرة المتكلم عل خلق معان جديدة، لا في قدرة المتكلم على توليد أو خلق جمل جديدة كما يره التحويليون (وهذا الاختلاف يوضح الاختلاف الجذري بين اتجاه "تشومسكي" العقلاني واتجاه "هاليداي" الوظيفي، فعلى حين ينظر "تشومسكي" إلى اللغة على أنها شيء نعرفه ينظر هاليداي إلى اللغة على أنها شيء تفعله).

4- المدرسة الأمريكية:

كذلك أسهمت المدرسة الأمريكية البنيوية في الاتجاه الوظيفي ونال هذا المفهوم عندهم اهتماما أكثر من غيره نظرا لأهميته لكونه يعنى بالقيمة الاتصالية للغة، وما يمكن أن تشتمل عليه من مستويات تتعرف من خالها على مختلف الوظائف التي تضطلع بها علاقات هذه اللغة داخل أنظمتها المختلفة وقد برز من علمائها.

1. **إدوار سابير**: كان سابير هو المؤسس لفكرة النماذج اللسانية، فهو يرى أن كل إنسان يحمل في داخله المخططات الأساسية التي تنظم لغته أي أنه يحمل النماذج المتمثلة لجميع الوسائل الفعلية اتي تزوده بها اللغة لتؤمن له عملية التواصل، ومن هنا يتواصل الإنسان

[1]- نادية رمضان النّجّار، الاتجاه التّداولي والوظيفي في الدّرس اللّغوي ، ص176.

وفقا لهذه النماذج النفسية الخاصة بلغته إلى التعبير عن أفكاره وبمثل هذا الصنيع يستحضر في الاستعمال مادة لغوية يستخدمها بالفعل.[1]

وقد وعى "إدوارد ساير" مسألة التفاعل بين مفهومين أساسيين من مفاهيم اللغة، هما مفهوم الشكل ومفهوم الوظيفة وتنبه إلى استحالة قيام علاقة وحيدة الاتجاه بين الوظيفة والشكل "إن نظام الأشكال شيء و استعمال هذا النظام (التحديد الوظائف) شيء آخر... إن الوظيفة (أن يكون لدينا شيء نقوله) لنسبق الشكل (قول هذا الشيء بطريقة ما)" وهكذا ربط "سابير" القول بالقصدية التي تعمل على تشكيل العملية اللغوية بما ينسجم مع هذه القصدية وأهدافها الإبلاغية، وبما يسمح للمرسل بتوصيل ما يرغب فيه الآخر[2].

2. جون جمبرز: وهو عالم متخصص في اللسانيات الاجتماعية الإثنولوجية قام بتطوير تحليل التفاعلات اللغوية في اتجاه واعد بشكل خاص وقد تأثر هذا الباحث الأمريكي تأثيرا عميقا بمدرسة "بالو ألتو" وبـ "جوفمان" وبالمنهجية الأثنولوجية (عبر مدرسة شيكاغو) من جهة كما تأثر من جهة أخرى باللسانيات الاجتماعية "لابوف"، وبالأثنولوجية اللسانية "سابير" وشهدت أعمال "جمبرز" المنشورة في الولايات المتحدة منذ سبعينيات القرن العشرين، أصداء واسعة إبتداءا من الثمانينيات. والخلاصة التي خرج بها من هذه التيارات العلمية المختلفة تسمى "إثنوغرافيا التواصل" وبشكل أدق هي "لسانيات اجتماعية تفاعلية" أو كما يقول هو "مقاربة تأويلية للمحادثة" وهذه التسميات المختلفة تشير إلى زاوية الدراسة المعتبرة.

ويتعلق الأمر بتحيل:

---

[1]– نادية رمضان النجار الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص177.

ميلكا فينس |اتجاهات البحث اللساني ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح وفاء كامل فايد المشروع القبومي للترجمة، ط2، 2000، ص276.

[2]- نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص179.

– الطريقة التي يستعمل فيها المتخاطبون تنويعات مختلفة من لسان واحد ومن ألسنة متعددة أثناء التخطيط(مبادئ تبادل السنن والتنويع المشترك الذي بقيمة علم اجتماع اللسان).

– كيف تسهم هذه الاختبارات في استراتيجيات التفاعل.

– كيف تنشئ هذه الاختيارات أطرا ثقافية لتأويل الملفوظات.

– فيما تعد هذه الاختيارات دالة.

– أي استدلالات تتأسس على المؤشرات وأي مؤشرات تقع.

– كيف تشتغل توجيهات التفاعل في الحالة المتواترة للاتصالات بين متصلين ينتمون إلى مجموعات إثنولوجية ولسانية اجتماعية مختلفة[1].

[1]– نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص182.

ثالثاً– تصنيف وظائف اللغة:

توطئة:

تنقسم وظائف اللغة بشكل عام إلى قسمين:

القسم الأول هو الموضوعي أي يتعلق باللغة ذاتها كونها منظومة منسجمة من العلاقات الداخلية التي لها وظائف عديدة تتم تأديتها. ويعتمد دور وأهمية كل من هذه الوظائف على القدرات الموضوعية للغة المعنية، أي على مستوى تطورها ونضجها ولكل وظيفة من هذه الوظائف الداخلية حدودها وشروطها التي تأمن بدورها العلاقات المتينة التي تربط هذه الوظائف ببعضها بعضا لتجعل منها وحدة متكاملة، ومن أهم هذه الوظائف هي:

الوظيفة الصوتية والوظيفة الصرفية والوظيفة المعجمية والوظيفة الدلالية، الوظيفة البلاغية أو الأسلوبية وهي بمجملها تتعلق بتطبيق أمور النطق والأسلوب والبلاغة وقواعد النحو والصرف والكتابة والقراءة وما إلى ذلك من أمور متداخلة لهذه وتلك من اللغات أي بحديث اللغة عن نفسها أو الوصف اللغوي للغة ذاتها ولعلاقاتها الداخلية.

أما القسم الثاني والمقصود هنا الجانب الذاتي وهو ما يتعلق باللغة كونها منظومة متكاملة للتفاهم والتداول والتواصل بين البشر، ويشمل هذا الجانب الوظائف الاجتماعية للغة باعتبارها أكبر وسيلة للتفاهم بين الناس على مر العصور فهي ضيف لا يمكن الاستغناء عنه في ثانية مجالات الحياة الاجتماعية سواء للفرد أم للمجتمع وهي بهذا تقوم بتأدية سلسلة متداخلة ومتكاملة من الوظائف الاجتماعية الهامة وتشبع بذلك حاجيات الفرد والمجتمع.

1- وظائف اللغة عند جاكسون:

بذهب اللغويون الوظيفيون إلى أن اللغة تقوم بوظائف متعددة لا بوظيفة واحدة.

ويلخص جاكبسون الوظائف التي تقوم بها اللغة في ستت وظائف:

الوظيفة المرجعية (أو الإحالة) والوظيفة التعبيرية والوظيفة التأثيرية والوظيفة الشعرية والوظيفة اللغوية (بفتح اللام) والوظيفة الميتالغوية)[1].

تقوم اللغة بوظيفة مرجعية باعتبار أن المتكلم يحيل بواسطة خطابه على واقع هذه الإحالة على الواقع هي في الوقت ذاته تواصل بين المتخاطبين بهذا المعنى تكون الوظيفة المرجعية وظيفة تواصلية أثناء التواصل يعبر المتكلم عن ذاته ويسعى إلى التأثير في المخاطب فيكون الخطاب بذلك مؤديا بالإضافة إلى الوظيفة المرجعية الوظيفتين التعبيرية والتأثيرية.

تستلزم عملية الخطاب أحيانا عبارات معينة لإقامة الحوار أو لتمديده أو لإنهائه خاصة هذا الضرب من العبارات أنها عبارات شبه مفرغة من مدلولها (أو إحالتها) الحرفي وتستعمل لذلك مجرد وسائل اللغوية).

من هذه العبارات كلمة لو "التي تقال في بداية كل حوار هاتفي وعبارتا "كيف حالك؟ "و"أعانك الله" اللتان تردان عادة في بداية الحوار ونهايته بالتوالي بواسطة هذا الصنف من العبارات تؤدي اللغة ما يسميه جاكبسون الوظيفة (اللَّغوية)

وتقوم اللغة بوظيفة شعرية في حالة إنتاج خطاب ذي دلالات داخلية أي خطاب دال داخل نفسه.

[1]- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط2، ت21، ص52.

أما الوظيفة المتالغوية فهي الوظيفة تؤديها اللغة في حالة إحالة عبارة على عبارة أخرى[1].

وتتجلى هذه الوظيفة بوضوح في اللغة الواصفة كلفة النجاة على سبيل المثال فالمصطلحات "فاعل" و"مفعول" مثلا عبارتان ميتا لغويتان لكونهما تدلان لا على واقعين في العالم الخارجي بل على نمطين من العبارات تتوفر فيهما خصائص معينة.

2- وظائف اللغة عند هاليداي:

يلاحظ هاليداي أن الأعراض التي يمكن أن تستعمل للغة من أقل تحقيقها غير متناهية كما أنها تختلف باختلاف العشائر الاجتماعية والأنماط الثقافية إلا أن هذه الوظائف المتعددة لا تهم جميعها الدارس اللغوية لهذا يتحتم على المتصدي لدراسة الوظائف دراسة لغوية أن ينتقي من بين حشد الوظائف التي تستعمل اللغة من أجل تأديتها الوظائف المتوفرة فيها الخاصيتان الآتيتان (أ) ورودها بالنسبة لجميع اللغات الطبيعية (عدم اختلافها من لغة إلى أخرى) (ب) تحديدها لبنية اللغة (إنعكاسها في مستوى الخصائص الصورية للغة)، ويرى هاليدي كما سبق الإشارة إلى ذلك أن الوظائف التي تتوفر فيها هاتان الخاصيتان وظائف ثلاثة، الوظيفة التمثيلية والوظيفة التعالقية والوظيفة النصية.

تستعمل اللغة للتعبير عن فحوى يشكل تجربة المتكلم بالنظر إلى الواقع الذي يعيشه سواء أكان ذلك الواقع مرتبط بالعالم الخارجي أم كان مرتبطا بذات المتكلم.

في هذه الحالة تكون اللغة مؤدية للوظيفة التمثيلية أي وظيفة التمثيل لما يعيشه المتكلم من واقع. بتأديتها لهذه الوظيفة تسهم اللغة في تحديد رؤيا متكلميها للواقع فيكون لها بذلك نصيب هام في تركيب تجربتهم ومعاناتهم لهذا الواقع[2].

---

[1]- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص52.

[2]- نفس المرجع، ص52-53.

ويستعمل اللغة كذلك وفي الوقت ذاته لإقامة العلاقات الاجتماعية أي للتعبير عن الأدوار الاجتماعية التي يتخذها المتكلم بالنسبة لمخاطبه كدور (المخبر) ودور (السائل) ودور (المجيب) ودور (الآمر) أو (الناهي)، بهذا المعنى تقوم اللغة بوظيفة (التعالق).

ومن خلال هذه الوظيفة ذاتها تتيح اللغة للمتكلم اتخاذ موقف من خطابه كأن يوجه على جهة "اليقين" أو جهة "الاحتمال" أو جهة "الشك" وتستعمل اللغة أخيرا لتأدية الوظيفة "النصية" أي الوظيفة التي تربط الخطاب بالطبقة المقامية التي تنجز فيها هذه الوظيفة هي التي تمكن المتكلم من تأليف خطابه في شكل "نص" والمخاطب من التمييز بين نص ومجرد سلسلة من العبارات المتوالية، من الجوانب الأساسي لهذه الوظيفة إقامة علاقة "الاتساق" بين الجمل العلاقة التي يستلزم وجودها قيام كل خطاب متماسك[1].

3- وظائف اللغة عند مالينوفسكي:

وضع مالينوفسكي تصنيفا للوظائف اللغوية مرتبطا بعمله عن الموقف والمعنى (1923) وقد جعل وظائف اللغة في هذا التصنيف في متواليتين اثنين واسعتين هما: الوظيفة التداولية Pragmatic fundion والوظيفة السحرية magical fuction ولما كان "مالينوفسكي" أنثربولوجيا فقد عنى بالاستعمالات العملية والتداولية للغة من ناحية (وهي التي فرعها بعد ذلك إلى الاستعمالات الفاعلة والاستعمالات السردية) ومن ناحية أخرى عنى بما للغة من استعمالات طقوسية أو سحرية وهي تلك الاستعمالات التي ترتبط بالنشاطات الاحتفالية الرسمية أو الدينية في ثقافة بعينها[2].

[1]- أحمد المتوكل اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، ص53.

[2]- محمد العبد، العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب القاهرة، ط2، 2007، ص83.

4- تصنيف اللغة عند بولر:

قدم عالم النفس النمساوية كارل بولر (1934) تصنيف آخر مختلف. كان بولر مهتما بوظائف اللغة من وجهة النظر الفردية لا الثقافية وقد جعل للعلامة اللغوية وظائف كبرى ثلاثة هي: وظيفة التعبير Ausdruck والوظيفة النزوعية Appell ووظيفة العرض darstellung فالمرسل يقوم بوظيفة التعبير وتقع النزوعية على المستقبل ويحصل في هذا مبادلة بين المرسل والمستقبل وفي أثناء ذلك تعرض العلامة اللغوية على نحو رمزي الأشياء والأوضاع[1].

ولما كانت الوظيفة الأولى تتجه إلى الذات أي إلى المتكلم والثانية إلى المخاطب والثالثة إلى أي شيء آخر سواهما، فقد لفت هاليداي النظر إلى أن بولر كان مطبقا لإطار تصوري موروث عن بلاتو، أي التمييز بين المتكلم والمخاطب والغائب وهذا بدوره مستمد من النحو (كان مصدره النحو البلاغي الذي عرف قبل بلاتو) أنه يعتمد على كون النظم اللفظية في لغات أوربية عدة (بما في ذلك الإغريقية القديمة)

مصنفة وفقا لمقولة الشخص المتضمنة الشخص الأول (أي المتكلم) والثاني (أي المخاطب) والثالث (أيٌّ شيء سواها) بناءا على ذلك عرف برلر ثلاث وظائف للغة وفقا لتوجهها إلى شخص أو آخر من تلك الأشخاص الثلاثة[2].

[1]- المرجع نفسه، ص33، 34.

[2]- محمد العيد، العبارة والإشارة، دراسة في نظرية الاتصال، ص34.

5- وظائف اللغة عند شانون / ويفر:

وضع الأمريكان "شانون" و"ويفر" نموذجا مؤسسا على النظرية الإعلامية ومكونا من المرسل والخبر الشفرة، والقناة والمستقبل، وتنطبق هذا النموذج على المعالجة التوضيحية لتوصيل النصوص أيضا:

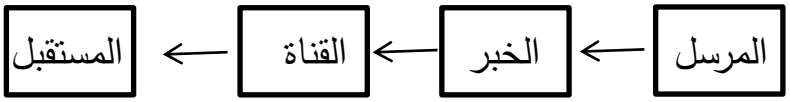

وقد راق لسوونسكي أن يربط هذا النموذج بالاتصال النصي، فمع حدث الاتصال حيثما يكون نقل الأخبار في هيئة نصية يؤدي المؤلف دور المرسل ويوضح النص ذاته في شفرة، أي في صيغة لغوية يطمئن إليها المرسل والمستقبل وتناسب النقل عبر قناة (سمعية أو بصرية) مختارة وقد تستلزم خصوصيات المقصد Intention والموقف Situation تغيرات في مكونات الشفرة code والصيغة النصية extform[1].

6- وظائف اللغة عند ليتش:

يتصل تصنيف "ليتش" اتصالا محكما بملامح جوهرية خمسة هي أي موقف اتصالي وهي:

1. الموضوع Subject matter.
2. المبتكر originator (كالمتكلم أو الكاتب).
3. المستقبل Receiver (كالمستمع أو القارئ).
4. قناة الاتصالcannel of communication.
5. الرسائل اللغوية ذاتها linguistic Message.

وتطابق كل وظيفة من الوظائف الخمسة توجه اللغة إلى عامل من العوامل السابقة:

[1]- نفس المرجع، ص35.

الوظيفة	توجه اللغة إلى عامل
الإعلامية:	الموضوع
التعبيرية:	المتكلم/الكاتب
التوجيهية:	المستمع/القارئ
الاجتماعية:	قناة الاتصال
الجمالية:	الرسالة[1]

7- وظائف اللغة عند كوستاف جيوم:

أ. بعد كوستاف جيوم "Gustave Guillaume" من أعلام المدرسة الوظيفية الذين طوروا نظرية في اللغة عرفت بـ "السيكو- نسقية "Psycho systematipue" أو علم النفس الميكانيكي وبعد هذا اللساني اللغة (نشاطا يرتبط بحركة الفكر بدلا من أن يكون نظام اختلافات) فقط كما قال "دي سوسير".

ب. وقد ميز "جيوم" على صعيد القول أو الكلام بين:

- وظيفة مركزية: وظيفة التواصل.

وظائف ثانوية: لا يمكن تحديدها بالنسبة للوظائف الباقية إلا كإنزياح استعمال اللسان.

ج. الأدات التواصلية لأغراض غير التواصل هي:

1. وظيفة إظهارية: تبرير الخلط بين المتكلم والمستمع وتصلح اللغة لتأكيد وجود الذات و الغير.

[1]- نادية رمضان النجار الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص193-194.

2. وظيفة جمالية: استعمال اللسان في تواصل أفضل.

3. وظيفة بلورة الفكر: تدخل العلاقة بين اللسان والفكر في مجال علم النفس لأن اللغوي لا ينظر إلاّ في الفكر المنطوق.

- طوائف لسانية لا تفسر وجودها الحاجات التواصلية منفردة:

1. وظيفة تعبيرية: إظهار إرادي للعاطفة بواسطة الفومقطعية، إلخ.

2. وظيفة دعوية: يحاول المتكلم أن يولد عند المستمع بعض التأثيرات العاطفية دون أن يشاطره إياها (كحال الخطيب والكاذب ...الخ).

3. وظيفة تقعيدية: تستفعل اللغة للتحدث عن اللغة (أحمر هو نعت)[1]

8- وظائف اللغة عند ديسموند موريس:

قدم "موريس" في دراسة له عن الأجناس البشرية من وجهة النظر إلى سلوكية الحيوان تصنيفا آخر لوظائف اللغة فيما أسماه بـ "الحديث الإعلامي "information talking" والحديث المزاجي "mood talking" والحديث الراوي (الثرثرة) "grooming talking" أما الأول فهو تبادل المعلومات تبادلا مشتركا وكان "موريس" يرمي إلى إظهار هذا النوع أولا بالرغم من أن تاريخ حياة الإنسان والطفل كما يقول "هاليداي" يبس أنه يأتي في آخر ما حدده من أنواع.

أما الثاني ليشبه الوظيفة التعبيرية عند "بوهلر" وكذلك عند "جاكوبسون" وقد عرف النوع الثالث بأنه من أجل الحديث، كأن له وظيفة جمالية ووظيفة التلاعب.

كذلك فقد عرف النوع الأخير بأنه الثرثرة المهذبة التي لا معنى لها في مناسبات اجتماعية وهذا ما أشار إليه "مالينوفسكي" في حديثه عن المخالطة الاجتماعية أي الاشتراك

[1]- نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص194-195.

في المعنى أثناء الحديث على نحو ما نجد في استعمال الناس تعبيرات مثل يوم جميل أليس كذلك؟، فمثل هذه التعبيرات تعد بعبارة "هاليداي" طريقة لتزيين التفاعل الاجتماعي[1].

9- وظائف اللغة عند بوبر:

إذ يفسر "بوبر" تطور القدرة على استعمال اللغة وظيفيا بأنها تشعب إلى ثلاث شعب البيولوجية والنفسية والاجتماعية فالقدرة عند الإنسان في أصلها هي ثلاثة بلا شك موروث جيني في حين يكون السلوك اللغوي شيئا يكتسبه الإنسان من خلال التعلم والممارسة بيد أنه يظل بحاجة إلى الفعل الثقافي والاجتماعي لاستعمال ما تعلمه وتنحصر وظائف استعمال اللغة عند "بوبر" في أربعة وظائف مرتبة من الأدنى إلى الأعلى وهي:

أ. الوظيفة التعبيرية: (تعبير الشخص عن حالاته الداخلية).

ب. الوظيفة الإشارية: (لتبليغ الشخص المعلومات المنطقة بحالاته الداخلية إلى الآخرين)[2].

ج. الوظيفة الوصفية: (لوصف الأشياء في المحيط الخارجي).

د. الوظيفة الحجاجية (لتقديم الحجج وتبريرها).

ويرى بوبر أن هذه الوظائف تكون هرما بحيث يتزامن ظهور الوظيفة التي تقع في المرتبة الأعلى مع دونها من الوظائف، في حين لا تتضمن الوظيفة الدنيا ما يعلوها من وظائف[3].

---

[1]- محمد العبد، العمارة والإشارة، ص36، 37.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، دار الكتب الجديدة المتحدة لبنان، ص1، 2004، ص14.

[3]- المرجع نفسه، ص14.

الفصل الثانـي

الوظيفيـة: مبـادؤها وأهميتـها

أولاً- مبادئ الاتجاه الوظيفي

ثانياً- منهج الاتجاه الوظيفي

ثالثاً- خصائص الاتجاه الوظيفي

رابعاً- أهمية الاتجاه الوظيفي

أولاً- مبادئ الاتجاه الوظيفي:

يعد الاتجاه الوظيفي من النظريات التي تنتمي من حيث مبادئها المنهجية إلى اللسانية الوظيفية التداولية[1]. ويمكن تفصيل المبادئ المنهجية للاتجاه الوظيفي في ما يأتي:

1- الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي وظيفة التواصل:

النحو الوظيفي نظرية لسانية تسعى إلى أن توصف اللغات الطبيعية وظيفيا وذلك باعتبار الخصائص البنيوية للغات محددة (جزئيا على الأقل) بما تسعى هذه اللغات إلى تحقيقه من أهداف تواصلية[2] فاللغويون الوظيفيون يجمعون على أن اللغة ظاهرة إنسانية اجتماعية تختلف بنياتها من مجتمع لآخر وتشترك عند كل المجتمعات في وظيفة واحدة، فهي تستعمل أساسا لإقامة التواصل بين البشر وهي وظيفتها الأساسية، وهذا لا ينفي أنها تقوم بوظائف ثانوية أخرى كالوظائف الست التي أقرها جاكبسون والوظائف الثلاث لهاليداي.

2- تبعية البنية للوظيفة:

اللسان الطبيعي بنية (تراكيب أو عبارات) تؤدي وظيفة أساسية هي التواصل، حيث تتحدد الخصائص البنيوية لعبارات هذا اللسان (صرف تركيب، تنغيم) انطلاقا من الأغراض التواصلية التي تستعمل هذه العبارات وسائل لتحقيقها، فبين البنية والوظيفة علاقة تبعية[3]. فبنية العبارات اللغوية تعكس الى حد بعيد وظيفتها التواصلية في واقع لغوي محدد، وفي ظل معطيات إنجازية خاصة، وهذا مبدأ منهجي عام معتمد في اللسانيات الوظيفية، واستجابة لهذا المبدأ المنهجي <<تدرس ظواهر اللغة بوصفها "كلاما" مستعملا من قبل "شخص

[1]- يحيى يعطيش: النحو العربي بين التعصير والتسيير، (مقال)، المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال ندوة تيسركو، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، 2001، ص122.

[2]- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص11.

[3]- أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية "منشورات عكاظ"، الرباط، 1993، ص35.

معين" في "مقام معين" موجه إلى "مخاطب معين" لأداء "غرض معين">>[1] واعتماد مبدأ الوظيفة يحدد الخصائص البنيوية للتراكيب النحوية فهو معيار حاسم اعتمده الباحثون اللغويون ومنهم (المتوكل) في التمييز بين الأنحاء الوظيفية والأنحاء الشكلية، فتقديم المفعول على الفعل مثلا يغير في شكل الجملة، وهذا لغرض وظيفي يفرض على المتكلم أو يقصده هو، ومن ذلك لجوء المتكلم مثلا لرد الخطأ في التعيين، فعندما يقول: "زيدا عرفت" لمن أعتقد أنه عرف إنسانا وأنه غير زيد، فيقول: "زيدا عرفت لا غيره" لتقوية التأكيد والتقرير.

ما تكون وظيفة تقديم المفعول أيضا التخصيص، كما في قوله تعالى: {إياك نعبد وإياك نستعين} الفاتحة 5، بمعنى يخصك بالعبادة، لا نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة فلا نستعين بغيرك.

بنية الجملة هنا تبعث وظيفتها، وهذا أهم مبدأ يقوم عليه الدرس الوظيفي المعاصر، إذ يرى مارتيني أن الوظيفة هي سبب وجود البنية، فلكل مقام تركيب معين، وباختلاف المقامات تختلف وجوه التراكيب، ففي الجملة: أفعلت؟ المقام مقام استفهام عن الفعل وتفيد الشك في وجود الفعل، والتردد بين وقوعه وعدم وقوعه. وفي الجملة: أأنت فعلت؟ المقام مقام استفهام عن الفاعل والتردد فيه، ونؤكد وقوع الحدث، وانصراف الشك إلى الفاعل[2]، وكل من المقامين يفرض بنية شكلية غير تلك التي يفرضها المقام الآخر، حسب الوظيفة المراد تأديتها، <<فالبنية التركيبية والصرفية تعكس إلى حد بعيد الخصائص المرتبطة بوظيفة

[1]- مسعود صحراوي "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي "مجلة دراسات لغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مجلد 5، العدد 1 أبريل أيونيه 2003 ص13.

[2]– الجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني، شكله وشرح غامضة وخرج شواهده ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. 2004، ص151.

التواصل، بحيث يمكن اعتبار بعض مقومات هذه البنية وسائل للتعبير عن الأغراض التواصلية التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها في طبقات مقامية معينة>>[1].

3- موضوع الدرس اللساني هو وصف "القدرة التواصلية" (للمتكلم / المخاطب):

يرى الوظيفيون التداوليون أن موضوع الوصف اللغوي هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم / المستمع، وهذه القدرة هي القدرة اللغوية التي تجمع بين النحو والتداول، مخالفين بنظرتهم هذه ما ذهب إليه شومسكي الذي يرى أن القدرة قدرتان: قدرة نحوية صرف، وقدرة تداولية ورغم هذا الاختلاف نجد كل النظريات اللسانية يكاد تجمع على أن موضوع الدرس اللساني والوصف اللغوي هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم / المخاطب غير أنها تختلف في تحديد هذه القدرة[2].

والقدرة التواصلية في نظرية النحو الوظيفي يحددها سيمون ديك أنها <<ما يمكن (مستعملي اللغة الطبيعية) من التواصل فيما بينهم بواسطة العبارات اللغوية، أي ما يمكنهم من التفاهم والتأثير مدخرهم المعلوماتي (بما في ذلك من معارف، وعقائد وأفكار مسبقة وإحساسات) والتأثير حتى في سلوكهم الفعلي عن طريق اللغة>>.

وتتكون القدرة التواصلية المتوافرة لدى مستعمل اللغة الطبيعية من خمس ملكات على الأقل تضطلع بوصفها خمسة قوالب، نجملها فيما يلي:

أ- **الملكة اللغوية:** وبها يتمكن مستعمل اللغة الطبيعية من الإنتاج والتأويل الصحيحين لعبارات لغوية متنوعة ومعقدة جدا في كل موقف تواصلي دعا إلى ذلك، وتتضمن الملكة

[1]- أحمد متوكل، اللسانيات الوظيفية <<دخل نظري، منشورات عكاظ، 1989، ص31.

[2]- أحمد متوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية، أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأماني، الرباط، المغرب، 1995، ص16.

اللغوية الجوانب التداولية للقدرة التواصلية. ويضمن صحة إنتاج العبارات وتأويلها القالب النحوي بكل مكونها: <<معلومات صرفية – تركيبية (صيغ المفردات التي تتكون منها العبارة والمقولات المعجمية التي تنتمي إليها والعلاقات الدلالية والتركيبية والتداولية القائمة بين هذه المفردات) ومعلومات دلالية (معاني المفردات، معنى العبارة ككل) ومعلومات تداولية (القوة الانجازية التي تواكب العبارة ككل باعتبارها قوة إنجازية حرفية)..>>[1] وبواسطة هذه المكونات يستطيع مستخدم اللغة أن يدرك وظيفة العبارة المطروحة.

ب- الملكة المنطقية: لمستعمل اللغة الطبيعية معارف اكتسبها من بيئته الاجتماعية وبواسطتها وباستخدام قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي يستطيع أن يشتق معارف أخرى[2]، وبينات تحتية يقوم القالب المنطقي بمهمة استنباطها من البنية التحتية المحددة في إطار القالب النحوي.

ج- الملكة المعرفية: بفضل الملكة المعرفية يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن يكون رصيدا من المعارف المنظمة، والعبارات اللغوية التي يمكن أن يختزنها ويستحضرها لاستعمالها في تأويل العبارات اللغوية، وذلك بالاستعانة بالقالب المعرفي الذي ترد عليه المعارف من القوالب الأخرى.

د- الملكة الإدراكية: تمكن الملك الإدراكية المتكلم / المستمع من إدراك محيطه (مدرك حسي) واشتقاق معارف من هذا الادراك لإنتاج العبارات اللغوية وتأويلها، ويتكفل بذلك القالب الإدراكي الذي يستعين بالقالب المعرفي في تخزين هذه المعارف قصد استعمالها عند الحاجة[3].

---

[1]- أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص25.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص16.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص30.

هـ- الملكة الاجتماعية: وبها تتم معرفة <<وضبط الكيفية التي ينبغي أن يخاطب بها مخاطبا معينا في موقف تواصلي معين قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة.>>[1] وهاته الكيفية يقوم بضبطها القالب الاجتماعي بالنظر إلى الخلفيات الاجتماعية التي تكشف هذا الموقف التواصلي.

- ويفكر المتوكل في وضع ملكة سادسة تسمى "الملكة الشعرية" مهمتها إمداد المتكلم/المستمع بما يستلزمه لإنتاج العبارات اللغوية ذات الطابع الشعري وتأويلها[2]، وفق ضوابط القالب الشعري الذي هو <<مجموعة من المبادئ ونسق من القواعد يضطلعان برصد الظواهر المجازية باختلاف أنماطها وبوصف ما بشكل "أدبية" الخطاب الأدبي بوجه عام>>[3].

وتبقى قائمة هذه الملكات قائمة مفتوحة، يمكن إضافة ملكات أخرى على غرار الملكة الشعرية ويقترح المتوكل إضافة قالب فرعي آخر سماه: القالب النصي[4].

ويمكن أن تشغل القوالب الخمسة جميعها في تأويل عبارة لغوية ما، وبالمقابل هنا حالات يمكن الاستغناء فيها عن قالب أو أكثر غير قالب النحو منها[5]:

- يمكن الاستغناء عن القالب المعرفي إذا كانت العبارة اللغوية المراد تأويلها خاصة لجل المعلومات التي يقتضيها التأويل.

- يمكن الاستغناء عن القالب المنطقي إذا كانت دلالة العبارة هي الدلالة المقصودة.

- يمكن الاستغناء عن القالب الاجتماعي اذا كانت العبارة غير موسومة اجتماعيا.

---

[1] - أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص17.

[2]- نفسه، ص28.

[3]- نفسه، ص22.

[4]- نفسه، ص23.

[5]- نفسه ص25-26.

هذا ويمكن القول أن الأنحاء الوظيفية تسعى الى وصف القدرة التواصلية لمستعملي اللغة الطبيعية قدرة انتاج وتأويل العبارات مع مراعاة استجابتها لما يفرضه واقع التواصل.

4- يجب أن يسعى النحو الطامح إلى الكفاية إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات:

أ- الكفاية التداولية:

تربط الكفاية التداولية بين خصائص العبارات اللغوية وكيفية استعمالها وتتحقق هذه الكفايات في نحو ما إذا كان قادرا على كشف التفاعل القائم بين بنية اللغات الطبيعية ووظيفها التواصلية. ويكتب ديك في معرض تعريفه للكفاية التداولية، <<نريد من النحو الوظيفي أن يكشف لنا عن خصائص العبارات اللغوية التي لها علاقة بالكيفية التي تستعمل بها هذه العبارات، وأن يفعل ذلك بطريقة التي تمكن من ربط هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التفاعل اللغوي.>>[1]

ب- الكفاية النفسية:

يسعى النحو الوظيفي إلى تحقيق الكفاية النفسية و<<يكون النحو كافيا نفسيا إذ لم يعارض مع الفرضيات النفسية حول انتاج اللغة وفهمها>>[2]. ويتم ذلك بالاستفادة من نتائج أبحاث على النفس، وعلم اللغة النفسي psycholinguistique، ومتابعة تطورات النماذج النفسية (Psychological models) ومطابقتها سواء منها "نماذج الانتاج" أي انتاج المتكلم العبارة اللغوية وصياغتها أم "نماذج الفهم" أي تحديد الطريقة التي يحدد الطريقة التي يحلل بها المخاطب العبارة اللغوية ويؤولها التأويل الملائم. وبذلك تطابق قواعد هذا النحو العمليات القائمة في ذهن المتكلم/المستمع أثناء انتاج الخطاب وفهمه، فالنحو الوظيفي يلغي من نموذجه القواعد التي تشكك في واقعيتها النفسية كالقواعد التحويلية.

[1]- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات العربية، ص19.

[2]- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية ص11.

ج- الكفاية النمطية:

تحقق النحو الكفاية النمطية اذا استطاع أن يضح نحوا للغات طبيعية متباينة نمطيا، وأن وصف ما يؤالف وما يخالف بين هذه اللغات المختلفة (ديك 1978)[1] وتقتضي الكفاية النمطية لغة ما إن تظل قواعد وصف ظواهرها لاصقة بخصائص هذه اللغة، وأن تتميز بدرجة عالية من التجريد لتستطيع وصف نفس الظاهرة في أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية[2].

ويصعب تحقق هذا النوع من الكفاية بل قد يستحيل ومرد هذا أن كل لغة تتميز بخصائص ابستمولوجية ومقومات فكرية وانتماء حضاري. والى هذه الصعوبة يشير المتوكل بقوله: <<فإذا اقتربت كثيرا من الوقائع اللغوي للغات معينة كان من العسير إنطباقها على لغات أخرى وإذا كانت موغلة في التجريد أصبحت عاجزة عن رصد الوقائع اللغوية كما تتحقق في لغات معينة. وهكذا يتعين على النظرية الرامية إلى الحصول على درجة معقولة من الكفاية النمطية أن تصوغ مبادئها وقواعدها وتمثيلاتها متوخية توسطا بين التجريد والملموسية يؤهلها لوصف أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية[3] وفي تراثنا اللغوي العربي نظريات وأحكام يمكن تعميمها وهي مؤهلة لوصف أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية. فهذه النظريات <<أكثر عالمية من النظريات الغربية على ما لهذه الأخيرة من علمية لا تنكر وإصابة لكبد الحقيقة في بعض جوانبها>>[4].

يعتبر المبدأ الأول (الوظيفة الأساسية للغات هي وظيفة التواصل) منطلقا أساسيا تقربه به جل النظريات اللغوية. ويعتبر المبدأ الثالث (موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة

[1]- أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1986، ص26.

[2]- أحمد المتوكل، الوظيفية والبنية ص5.

[3]- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص21

[4]- محمد العيد رتيمة، النظرية البنيوية الوظيفية العربية وتطبيقاتها في الدرس اللغوي: مجلة اللغة والادب، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها الجزائر، العدد 9، 1996، ص14.

التواصلية للمتكلم/المخاطب) <<مجرد سمة تمييزية، به تتمايز النظريات الوظيفية من النظريات غير الوظيفية وليست له امتدادات تطبيقية>>. والمبدأ الرابع (السعي إلى تحقيق الثلاث)عبارة عن غايات قد لا تتحقق، ولم تتحقق تحققا كاملا حتى في نظرية النحو الوظيفي ذاتها[1] وخاصة ما تعلق بالكفاية النمطية. أما المبدأ الثاني (تبعية البنية للوظيفية) فهو المبدأ الوظيفي الأهم والأكثر واقعية وإجرائية.

هذا ولسنا نسلم بكل ما جاءت به هذه النظرية، التي ما زالت في طور الانجاز وليست مستقرة ومتوقفة عند حد معين بل لا تزال كثير من المفاهيم الإجرائية التي اعتمدتها تتطلب التطوير والتحوير، ومثل ذلك ما اعتمدته في جهازها الوظائفي الذي تقوم بتحليل التراكيب اللغوية على أساسه من صياغة صورية معقدة ورموز رياضية مجردة، فالكثير منها يبتعد عن الواقعية والبساطة ويميل إلى التجريد والتعقيد[2]. فالنحو كما تقترح نظرية النحو الوظيفي يشمل وظائف تمثيلية (مستويات تحليل) ثلاث:

– المستوى التركيبي لتمثيل الوظائف التركيبية (كوظيفتي الفاعل والمفعول).

– المستوى الدلالي لتمثيل الوظائف الدلالية (كوظيف المنفذ ووظيفة المتقبل ووظيفة المستقبل ووظيفة المستفيد...).

– المستوى التداولي لتمثيل الوظائف التداولية (وظيفة المبتدأ، وظيفة المحور، وظيفة البؤرة، وظيفة المنادى، وظيفة الذيل) فتحليل جملة مثل: أكل محمد التفاح حسب ما يرى "ديك" يكون بالشكل التالي:[3]

[1]– مسعود صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، ص17.

[2]- المرجع نفسه، ص13.

[3]– يحي أحمد. الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص95.

1-المستوى التركيبي: فعل فاعل مفعول به

2-المستوى الدلالي: فعل عامل هدف

3-المستوى التداولي مسند(Theme) متمم(Tail)

أو: موضوع (Topic) بؤرة (Focus)

والجملة في النحو الوظيفي عبارة عن اسناد Predication مصطلحات بالشكل التالي[1]:

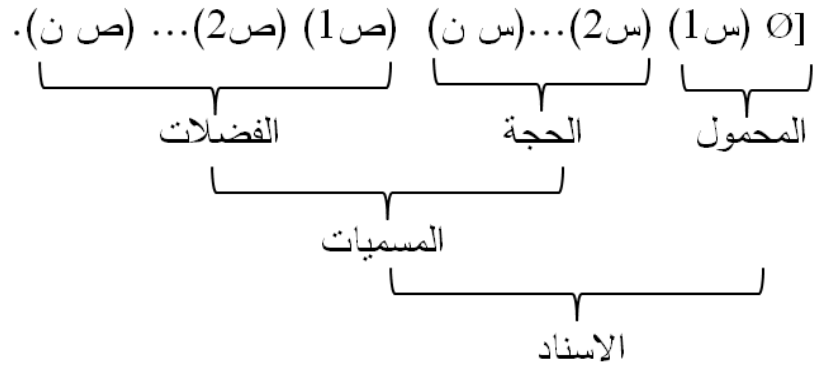

<< وهكذا فلكل جملة إطار اسنادي مصمم لبيان وظيفتها، وفي هذا الاطار الاسنادي يتم استبدال المتغيرات بمسميات تتفق في خصائصها الاختيارية Electional restriction مع المحمول>>[2].

من خلال الجهاز الوظائفي ومستويات التحليل التي أوردناها ونموذج الجملة المختارة التحليل وفق ما تقترحه نظرية النحو الوظيفي نجد أن هذه النظرية يكتنفها التعقيد والتجريد وكثرة الترميز الرياضي. بالإضافة إلى هذا تنتقد في عدم التحقق الكلي لمبادئها[3]. وقد اكتفينا في دراستنا هذه بالتحليل في ضوء مبادئها الوظيفية وركزنا على المبدأ الثاني.

[1]- يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص96.

[2]- المرجع نفسه، ص97.

[3]- المرجع نفسه، ص98.

ثانياً- منهج الاتجاه الوظيفي:

يتميز هذا المنهج بدراسة نظام اللغة الكلي بمستوياته المختلفة النحوية والصرفية الصوتية والدلالية، دراسة وظيفية محضة، وهذا ما جعلته يختلف عن باقي المناهج اللسانية الأخرى. وقد شملت نشاطات هذه المدرسة عدة مجالات وهي كالتالي:

الصوتيات الوظيفية الآنية والصوتيات الوظيفية التاريخية، والتحليل الوظيفي والعروض وتصنيف التضاد الفونولوجي والأسلوبية اللسانية الوظيفية التاريخية، ودراسة الوظيفة الجمالية للغة ودورها في الأدب والفنون والمجتمع[1].

فمدرسة براغ أعطت للغة وظيفة من خلال العلاقات المختلفة التي تقوم بها داخل المجتمع، فبنيتها لا تتحدد قيمتها إلا من خلال وظيفتها التي تقوم بها داخل المجتمع، فمنهج هذه المدرسة يختلف وهو ينظر إلى اللغة على أنها نظام من الوظائف وكل وظيفة نظام من العلامات، وهذا على خلاف "سوسير" الذي يرى أن اللغة نظام من العلامات، فقد شبه علماء هذه المدرسة اللغة بالمحرك، وعلى اللساني اكتشاف أهم مكونات ذه اللغة كما يكتشف الشخص أجزاء ذلك المحرك، كما أن طبيعة كل وظيفة في اللغة تؤدي إلى اكتشاف الوظائف الأخرى، مثلما يؤدي اكتشاف طبيعة كل مكون من المحرك إلى تحديد طبيعة المكونات الأخرى[2].

ولم يكتف أصحاب هذه النظرية بالوصف بل تعدوه إلى تفسير فقد أطلق مؤسسو مدرسة براغ على منهجهم الخاص بالدراسة الصوتية اسم "الصوتيات الوظيفية"، ويتولى هذا الفرع من اللسانيات الحديثة دراسة المعنى الوظيفي للنمط الصوتي ضمن نظام اللغة الشامل، واستخراج كل الفونيمات وضبط خصائصها وتحديد كيفية توزيع ألوفوناتها.

---

[1]- أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص136

[2]- المرجع نفسه، ص136-137

ومن هنا لا ينبغي على الدارسين الخلط بين الصوتيات والصوتيات الوظيفية، فالصوتيات فرع من اللسانيات تقوم على دراسة الأصوات الكلامية من حيث نطقها وتمثيلها وتوزيعها، أما الفونيم الذي هو محور دراسة الصوتيات الوظيفية فإنه وحدة فونولوجية مجردة لأن ما ينطق به فعلا خلال الكلام هو اللوني الصوتي أو المتغير الصوتي، واللوني الصوتي صوت كلامي حقيقي يتوزع بطريقة تكاملية أو يتغير بشكل حر وتنظر المدرسة إلى اللغة على أنها ظاهرة طبيعية وأداء للتواصل تحلل بواسطتها التجربة البشرية تحليلا يختلف من مجموعة لأخرى. وكذلك المدرسة بالفرق الوظيفي الفونيمات الذي ينجم عنه الاختلاف في الدلالة مثل ما نجد ذلك في اللغة الفرنسية بين "P" و "B" والاهتمام بالفرق غير الوظيفي الذي لا ينجم عنه اختلاف في الدلالة.

وهذا ما نجده في بعض اللهجات العربية مثل قولنا "باريس" و"باريس" أو بين "قال" و"قال" الذي ينجم عنه اختلاف في النطق فقط وليس هناك فرق في الدلالة[1].

يرى لغويو هذه المدرسة أن الصوت اللغوي تطرؤه بعض التغيرات تختلف من لغة إلى أخرى ولا يحدث هذا التغيير تاريخيا فأصوات اللغة قابلة للتغير، لكنها لا تواكب تطور اللغة حيث لا يمكن التأريخ لتطور الأصوات.

[1]– أحمد محمد مومن، النشأة والتطور، ص137–138.

ثالثاً- خصائص الاتجاه الوظيفي:

على الرغم من اختلاف المدرسة الوظيفية عن المدرسة البنيوية في كثير من القضايا فإنها تمثل اتجاها متفرعا عن البنيوية ولذا فإن بعض اللسانيين يرون أن البنيوية هي الإطار العام الذي يشمل معظم –إن لم يكن كل- الاتجاهات التي ظهرت في القرن العشرين.

أ- وتتميز المدرسة الوظيفية عن غيرها من المدارس اللسانية، باعتقادها أن البنى الصياتية والقواعدية والدلالية محكومة بالوظائف التي تؤديها في المجتمعات التي تعمل فيها، وفي ذلك خروج عن المبدأ الواضح الذي أرساه دي سوسير وتبعه في ذلك البنيوين من أن البنى اللغوية ينبغي أن تدرس في حد ذاتها. بغض النظر عن العناصر الخارجة عن اللغة بوصفها نظاما مجردا مستقلا، وتتلخص وجهة النظر الوظيفية في صعوبة الفصل بين البنية اللغوية والسياق الذي تعمل فيه والوظيفة التي تؤديها تلك البنية في السياق[1].

ب- تعد النظريات غير الوظيفية اللغة نسقا مجردا (أو مجموعة من الجمل المجردة) يؤدي وظائف متعددة أهمها "التعبير عن الفكر" في حين أن النظريات الوظيفية تعد اللغة وسيلة للتواصل الاجتماعي أي نسقا رمزيا يؤدي مجموعة من الوظائف أهمها وظيفة التواصل.

ج- تعتمد النظريات الوظيفية فرضية أن بنية اللغات الطبيعية لا يمكن أن ترصد خصائصها إلا إذا ربطت هذه البنية بوظيفة التواصل، بيد أن النظريات غير الوظيفية تنطلق من مبدأ أن اللغة نسق مجرد يمكن وصف خصائصه دون اللجوء إلى وظيفته بعبارة أخرى، لا يمكن في نظر الوظيفيين وصف خصائص العبارات اللغوية وصفا ملائما إلا إذا روعي في هذا الوصف الطبقات السياقية الممكن أن تستعمل فيها في حين أنه في رأي غير الوظيفيين من السائغ أن يتم وصف خصائص العبارات اللغوية بمعزل تام عن سياقات استعمالها[2].

---

[1]- محمد محمد علي، مدخل اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان ط1، 2004، ص70.

[2]- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، ص15.

د-قدرة المتكلم-السامع، في رأي غير الوظيفية معرفته للقواعد اللغوية "الصرف" (القواعد التركيبية والدلالية والصوتية)، أما "القدرة" في رأي الوظيفيين فهي معرفة المتكلم للقواعد التي تمكنه من تحقيق أغراض تواصلية معينة بواسطة اللغة، القدرة إذا حسب الوظيفيين "قدرة تواصلية" تشمل القواعد التركيبية والقواعد الدلالية والقواعد الصوتية والقواعد التداولية.

هـ-يتعلم الطفل، حسب اللغويين غير الوظيفيين نحو اللغة، مستعينا بالمبادئ التي فطر عليها ويتعلم، حسب اللغويين الوظيفيين، النسق الثاوي خلف اللغة واستعمالها، أي العلاقات القائمة بين الأغراض التواصلية والوسائل اللغوية التي تتحقق بواسطتها.

و-يتصور اللغويين غير الوظيفيين الكليات اللغوية على أساس أنها مجموعة من المبادئ العامة المتعلقة بالخصائص الصورية (التركيبية، الصوتية والدلالية) للسان الطبيعي يفطر عليها الطفل في حين أن اللغوين الوظيفيين يتصورون هذه المبادئ على أساس أنها مبادئ تربط بين الخصائص الصورية للسان الطبيعي ووظيفة التواصل فالكليات، في نظم غير الوظيفيين. كليات صورية وهي في رأي الوظيفيين كليات صورية -وظيفية-.

ي- يفرد الوظيفيون في النموذج المصوغ لوصف اللغات. مستوى يضطلع بالتمثيل للخصائص التداولية (خاصية الاقتضاء والتبشر، خاصية القوى الانجازية..) ويلاحظ منذ سنوات، أن بعض النظريات غير الوظيفية (نظرية المعيار الموسعة مثلا) نضع قواعد معينة تتكفل بالتأويل التداولي للبنيات المولدة تركيبيا.

إلا أن المستوى التداولي في النظريات الوظيفية تحتل، داخل النموذج، موقعا مركزيا حيث أنه تحدد، والمستوى الدلالي، الخصائص الممثل لها في المستوى التركيبي- الصرفي،

في حين أنه، في النظريات غير الوظيفية. إذا وجد – لا يقوم، إلى جانب المستوى الدلالي إلا بدور تأويلي بالنظر إلى المستوى التركيبي– الصرفي[1].

رابعاً– أهمية الاتجاه الوظيفي:

يستعان بالاتجاه الوظيفي في حل اشكاليات تتصل بالتعليم والتعلم. ومنها:

1– تعليم النحو:

وهو الذي يقوم على أساس الوصف للغة المستعملة. وبهذا المعنى يتغير طبقا للاستعمالات ويعرفه "هاليداي" بأنه، <<قواعد تستعمل في تعليم الأطفال ليتكلموا أو يكتبوا لغة صحيحة ويسمى أيضا قواعد تعليمية>>.

وهو بهذه الصفة يهدف من خلال التعليم إلى تحقيق القدرات اللغوية للمتعلمين، حتى يتمكنوا من ممارستها في وظائفها الطبيعية العملية ممارسة صحيحة في مختلف شؤون الحياة، ويرى "لوسبان تنير" وهو من رواد المدرسة الوظيفية أن مفهوم الوظيفية يتجلى في "علم التراكيب" وهو يميز بين التركيبة السكونية "الأقسام" وبين التركيبة الحركية "الوظائف" فالتركيبة السكونية ميدان للتحليل وفيها يرتكز على الترتيب الخطي المقطوعي السطحي، وأما التركيبة الحركية للنظر في التركيب البنيوي حيث تحدد الوظائف ذاتها.

فالنحو الوظيفي إذن لا ينظر إليه على أنه علم نظري، بل هو منهج تدريس علمي أيضا، وبوصفه منهجا للتدريس لا ينبغي أن يفهم على أنه كتدريس الأشكال وقواعد منعزلة قلت أو كثرت، بل إرشاد للاستعمال الصحيح وفهم لغتنا وفي هذا يقول "جرهارد هلبش" "لا ينظر إلى المعارف النحوية على أنها مجرد مادة للحفظ بل هي مادة يواجه بها المرئ في

[1]– أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص15–16.

الحوار ومن أجل الحوار التلقائي فقط مع اللغة واستعمالها الخلاق، يطمح النحو الوظيفي إلى التعيين في معرفة الأشكال واستعمالها طبقا لإنجازها[1].

2- التقارب والتباعد بين المتكلمين:

لا شك في أن اللسان يخدم التقارب بين الأفراد الذين يعيشون معا أو يتباعدون لأسباب شتى. ومن ثم فهذه هي مشكلة التقارب والتباعد اللغوي، إن الأفراد الذين يريدون التواصل أينما كانوا يتواصلون بالأفضلية بواسطة اللسان، وفي الحقيقة إذا كان الناس الذين على اتصال فيما بينهم يتكلمون باللسان ذاته أو لسانا مختلفا. فذلك لن يغير في عمق المشكلة. ذلك أنه بعد مرور فترة زمنية محددة سيقوم بينهم نوع من الاتفاق الضمني. فإما أن يتعلم الناطقون (أ) لسان (ب) وإما يحدث العكس، ويقوم هنالك خليط من لسانين وهو ما ندعوه بالمزج اللغوي الذي يتيح أمام الأفراد فرصة التفاهم[2].

وعندما يكون هناك حرية للاختيار في لسان معين بين طريقتين للتعبير، فنحن نختار تلك التي تكون مفهومة لنا أكثر من قبل الآخر، ومن المتعارف عليه في لسان معين، أن أية حقيقة يعبر عنها بواسطة كلمتين مختلفتين تمتلك أحداهما فقط استعمالا "شاعريا، بينما تعد الأخرى بمثابة لفظة عادية، ويحدث العكس في لسان آخر مجاور وفي نطاق العلاقات التي تتم ما بين مستعملي هذين اللسانين، نجهد لاستعمال الشكل النادر الشاعري، إذا كنا نعلم بأن القدرة على فهمنا ستصبح أكبر، إن مشاكل التقارب والتباعد اللغوي التي نصادفها هنا معقدة وخاصة في الوقت الحاضر، ففيما مضى، كان الناس يلتقون ويتخاطبون فيما بينهم وعندها يحصل التكيف، أما اليوم، فقد اختلفت المواقف، إن الناس لا يلتقون بالضرورة

[1]- كاترين فوك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص52.

[2]- نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص206.

جسديا ولكنهم يتواصلون بواسطة وسائل الإعلام ويمكن التقارب أن يتم شفويا بواسطة وسائل الإعلام. وكتابيا من خلال المستندات المكتوبة[1].

3- اللغة أداة التواصل:

الأنحاء الوظيفية تنظر إلى اللغات الطبيعية على أنها بالإضافة إلى كونها بنية أو نسقا شكليا (صوتيا وصرفيا، وتركيبا ومعجميا) تعتبر أداة لوظيفة أساسية هي التواصل، فاللسانيات الوظيفية حسب "كونو" هي مقارنة لتحليل البنية اللغوية تعطي الأهمية للوظيفة التواصلية لعناصر هذه البنية بالإضافة إلى علاقتها البنيوية[2].

4- تنوع مظاهر التواصل:

كم يمكن أن تؤدي اللغة وظائف أخرى قد تكون أشكالا مختلفة لوظيفة التواصل منها الوظيفة الجمالية التي هي تحويل لوظيفة التواصل عن غرضها، ومنها الوظائف الستة المشهور عند "جاكسون" التي اقترحها في 1963م[3].

[1]- نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص207.

[2]- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص104.

[3]- نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في المدرس اللغوي، ص208.

الفصل الثالث

ملامح الوظيفية في الكتاب لسيبويه

أولاً– القيمة الوظيفية للفونيم

ثانياً– علاقة البنية التركيبية بالبنية الدلالية

ثالثاً– تبعيّة البنية للوظيفيّة

رابعاً– السّياق ومقاصد الكلام

خامساً– المسند والمسند إليه تركيب وظيفي

في سبيل إبراز معالم الوظيفية في الدرس النحوي العربي يعرض البحث لهذه المعالم في كتاب نحوي أصيل متقدم، هو الكتاب لسيبويه حيث يتضمن مادة دسمة تكرس مبادئ الوظيفية، وإن لم تكن بالمفهوم نفسه الذي تبنته النظرية الوظيفية الحديثة: نجد فيه العديد من الأفكار التي تمهد الطريق للمنهج الوظيفي الحديث وهذا ما سيتبين لنا فيما يلي:

أولاً- القيمة الوظيفية للفونيم:

لقد جعل سيبويه للبحث الفونيتيكي للأصوات وسيلة لخدمة الأعراض الفونولوجية، وأوضح مثال على ذلك وهو قوله "وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه وما لا يحس فيه ذلك ولا يجوز فيه وما تبدله استثقالا كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك"[1].

وهو يجعل من البحث الفونيتيكي القاعدة للانطلاق في البحث الفونولوجي[2].

كما تتبلور نظرية الفونيم (الأصول والفروع) عنده من خلال تمييزه بين نوعين من الحروف[3]:

الأول: ويطلق عليها الأصول "فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا: الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والضاد، الجيم، الشين، الياء، اللام، الراء، الطاء، الدال، التاء، الزاي، السين، الضاء، الذال، الثاء، الفاء، الباء، الميم، الواو"[4].

[1]- سيبويه أبو ستر عمرو بن عثمان، الكتاب تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، التاريخ، بيروت، لبنان، 327/4.

[2]- صلاح رشيد هدى التأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، دار الأمان، الرباط، 2015، ص203.

[3] - ينظر: البريسم قاسم، علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، إفريقيا الشرق المغرب، 2018، ص15، 16.

[4]- سيبويه الكتاب، 323/4.

ثانيا: ويطلق عليها الفروع: وأصلها من التسعة والعشرون "وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة وعشرين وهي كثيرة يأخذ بها ويستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي: "النون الخفيفة والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كجيم والصاد التي تكون كزاي وألف التفخيم يعنى بلغة أهل الحجاز، في قولهم الصلاة والزكاة والحياة".

ثم أضاف إليها سبعة أحرف أخرى، عدها من الفروع أيضا ولكنها من الحروف غير المستحسنة وهي الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والضاء التي كالثاء، والباء إلي كالفاء"[1].

وبذلك يكون عدد الحروف عند سيبويه اثنين وأربعين حرفا منها تسعة وعشرين حرف في الأصول وثلاثة عشر حرفا من الفروع، بجيدها ورديئها، وهي التي لا تتبين إلا بالمشافهة، لذا قال "وهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون التي لا تتبين إلا بالمشافهة".

والمتأمل لهذا التقسيم السيبويهي لا يجد فيه فرقا بينه وبين تقسيم وتروبتسكوي من حيث التمييز بين الفونيمات الأصلية والفرعية: حيث اهتدى سيبويه إلى ما اصطلح عليه بالسمات المميزة أو الفارقة وفكرتها هي أن الفونيم هو حزمة من السمات الفارقة التي ترد متزامنة، وقد تابعها بشكل مستمر جالكسون حتى صارت نظرية السمات"[2].

[1] – سيبويه الكتاب، 323/4.

[2] – نفسه، 324.

وهذا ما نستشفه من خلال القواعد التي وضعها للتمييز بين الكلمات مراعيا الأساس الوظيف، مع الإشارة إلى إمكانية تطبيق بعضها على اللغة العربية[1].

القاعدة الأولى: إذا كان الصوتان من اللغة نفسها، ويظهران في الإطار الصوتي نفسه، وإذا كان من الممكن أن يحل أحدهما من الآخر، دون إن ينتج عن هذا التبادل اختلاف في المعنى العقلي للكلمة، حينئذ يكون هذان الصوتان صورتين اختياريتين لوحدة أصواتية واحدة.

القاعدة الثانية: إذا كان الصوتان يظهران تماما في الموقع الصوتي نفسه، ولا يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر دون تعديل معنى الكلمة أودون أن تصير الكلمة للغموض حينئذ يكون صغران الصوتان صورتين واقعتين لوحدتين أصواتيتين مختلفتين.

القاعدة الثالث: إذا كان الصوتان من اللغة نفسها متقاربين فيما بينهما من الناحية السمعية أو النطقية ولا يبرزان مطلقا في الإطار الصوتي نفسه فإنهما يعدان تنوعي تركيبين للوحدة الأصواتية نفسها.

وقد كان الأساس السمعي من أهم الأسس التي اعتمد عليها جاكسون في التوصل إلى السمات الثنائية[2].

حيث حدد تقابلات ستة للملامح المميزة تقابلها ملامح متضادة فيكون المجموع اثني عشرة ملمحا تكون ستة ثنائيات هي[3]:

1. التصويت: في مقابل التسكين.

[1] مالبرج بريتل، علم الأصوات تعريف ودراسة، عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، 1984، ص238-240.

[2] بركة فاطمة الطبال، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، ص41، 42.

[3]- عمر أحمد المختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997، ص194.

2. الأنفية: في مقابل الفموية.

3. الإشباع: في مقابل التخفيف.

4. الرزانة: في مقابل الحدة.

5. التوتر: في مقابل الارتخاء.

6. الاستمرارية: في مقابل الاعتراض أو الحصر.

وفي أبحاث أخرى زاد التالي[1]:

1. الصوت المتضام: في مقابل المنتشر.

2. المجهور في مقابل المهموس.

3. الخشن: في مقابل الرقيق.

4. المنضبط: في مقابل غير المنضبط.

أنا نجد تصنيفا مشابها لما أقره جاكسون عند سيبويه وهو[2]:

الجهر مقابل الهمس

الإطباق مقابل الانفتاح

الشدة مقابل الرخاوة

الاستعلاء مقابل الإستفال

الذلاقة مقابل الإصمات

[1] – سيبويه، الكتاب، 194، 195.

[2] – المرجع نفسه، 325/4، 327.

فسيبويه يعتمد على هذه السمات في تمييز الأصوات المتحدة المخرج، حيث عد مخارج الأصوات الصامتة ستت عشر مخرجا وهي على النحو الآتي:

للخلق منها ثلاثة فأقصاه مخرجا الهمزة والهاء والألف ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء وأدناها مخرجا من الفم الغين والخاء ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف.

ومن وسط اللسان بينه وبين الوسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والباء ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها في الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء ومما بين طرق اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الضاد والدال والثاء ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة[1].

ومنه فإن سيبويه لم تغب عنه فكرة الفونيم وإن لم تسمو نظرية متكاملة كما هو الحال في النظرية الوظيفية إلا أنها كانت بمثابة إرهاصات أولى تستحق التحليل[2].

[1]– سيبويه، الكتاب، ص324، 325.

[2]– أسمهان ميزان الكتاب لسيبويه مقارنة وظيفية، مجلة لغة كلام المجاد على العدد3 ص2020.

ثانياً- علاقة البنية التركيبية بالبنية الدلالية:

ينطلق سيبويه في تصنيف أضرب الكلام من الصحة والصدق مع مراعات قوانين النحو وتطابق البنية التركيبية مع البنية الدلالية في باب أسماه "باب الاستقامة في الكلام والإحالة" إذ قسم فيه الكلام إلى خمسة أضرب وهي:

المستقيم الحسن، نحو: أتيتك أمس.

المحال نحو: أتيتك غدا.

المستقيم الكذب: حملت الجبل وتشربت ماء البحر.

المستقيم القبيح نحو: قدزيدا رأيت.

المحال الكذب: سوف أشرب ماء البحر أمس.

والواضح أننا أمام نظرية نحوية وظيفية تداولية تقوم على تفسير دور المتكلم ومقاصده ودور السامع في فهم المعنى وتأويله ونوع السياقات التي تتم فيها عملية التخاطب.

فالمنوال النحوي الدلالي الذي عرضه سيبويه في هذا الباب يتناول بالتقصي ضروب التركيب، العلاقات الدلالية، وكذا ضروب المتكلمين والسامعين، ففي المثال الأول نفهم أن المتكلم مطلع على قوانين النحو وأصناف الألفاظ التي تلائم المعاني المسوقة لها.

وأما الضرب الثاني فيبدو أن قائلها ليس له أدنى صلة بالواقع اللغوي، وكذا الأمر بالمثال الخامس الذي وقع فيه تناقض في الأزمنة، فالحدث المرغوب تحقيقه وقع في زمن مضى وسيقع في المستقبل وهذا ما لا تقبله اللغة ولا الواقع.

فالتنافر حاصل بين اسم الزمان أمس وسوف، هذا التضارب الذي أحدثته هاتان الكلمتان أدى إلى انشطار المعنى وتفكيك التركيب.

أما المثال الثالث والرابع، فإن الضوابط النحوية تحققت فيهما، ولا سيما في ج(3) غير أن المعنى لا يتطابق والحقيقة لأنه يستحيل حمل الجبل وشرب ماء البحر، فالمعيار الحاكم هنا هو الصدق والكذب، أما في ج(4) فإن التركيب حدث فيه سوء ترتيب لعناصره فلو قلنا: رأيت زيدا بحذف (قد) لاستقام التركيب وثبت المعنى.

فلمفسر الذي يرفض ج (2) وج(3) وج(5) وأما ج (4) فإن الدلالة فيه محفوظة إذا استقام التركيب بإسقاط الأداة(قد).

إن معالجة قضية الربط التركيب والدلالة وجهة نظر الوظيفيين تقوم على طرفين هما الربط بين أركان التركيب وتحديد سياقاته فالروابط البنيوية متعاونة مع التحديدات السياقية ستنتج التركيب الأساسي المقبول تحويا ودلاليا[1].

يطرح تشومسكي فكرة مقبولية الجملة في مقابل الجمل الأصولية والجمل اللا أصولية فهما متوازيان لا متساويان، يقول "لا يجب أن نخلط بين مفهوم قبول الجملة وبين مفهوم أصولية الجملة فمفهوم قبول الجملة عائد إلى مجال دراسة الأداء الكلامي في حين أن مفهوم أصولية الجملة يرتد إلى مجال الكفاية اللغوية فالأصولية هي عامل من بين عوامل متعددة تترابط لتحديد قبول الجملة[2].

فثنائية الكفاية اللغوية والأداء الكلامي مبدأ واضح في تفسير سيبويه غير أنه لم يشر إليه صراحة بل كان حملته الأمثلة التي عرضها التحليل.

فإذا أردنا أن نعيد تضييق أمثلة سيبويه السابقة حسب التدرج في المقبولية فإننا سنعتمد ثلاثة معايير: أولها: معيار الصدق والكذب وثانيها: معيار الضبط النحوي وثالثها: معيار

[1] مازن الوعرة، نحو نظرية لسانية عربية حديثه التحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلا، دمشق، ط1، 1987م، ص68.

[2] تشومسكي 1965، ص11 نقلا عن ميشال زكريا، الألسنة التوليدية والتحويلية، وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنة) ط1، 1402هـ-1982، ص113.

الضبط الدلالي، وتلتقي هذه المعايير الثلاثة بأنها تعود للمتكلم فتدرج إما ضمن الكفاية اللغوية في أو الأداء الكلامي واليك التصنيف المعتمد.

1. المستقيم الحسن: مثاله :أتيتك أمس.
2. المستقيم القبيح: مثاله: قد زيدارأيت
3. المستقيم الكذب: مثاله: حملت الجبل وتثريب ماء البحر.
4. المحال: أتيتك غدا.
5. المحال الكذب: سوف أشرب ماء البحر أمس.
6. المثالان ج(3) و ج (5) يتقاطعان في أنهما يحملان خبرا كاذبا مخالفا للواقع مع الاختلاف في تحقيق الضابط النحوي في ج (3) وانعدامه في ج (5) ويقاطع المثالان ج (1) وج(4) في ورود عنصر الزمن الذي ورد في ج(1) وظيفيا خلاف ج(4). أما في ج(5) فإن هذا التركيب لم يتحقق فيه أي ضابط من الضوابط السابقة الذكر(الصدق لا الكذب النحو، الدلالة) وسبب ورود عنصرين متنافرين هما: سوف/أمس فهما يحيلان على زمنين متناقضين. زمن لم يتحقق/مستقبل، وزمن وقع/ماض: فالجملة تتحمل زمنا واحدا في بنيتها التركيبية، لأنها تتسم بالخطية والجهة، فالأحداث تتحمل زمنا واحدا في بنيتها التركيبية لأنها تتسم بالخطية والجهة. فالأحداث متتابعة وتسير في اتجاه واحد وزمن واحدلا زمنين متضاربين فالمتكلم عليه أن يختار أحد العنصرين الدالين على الزمن بحسب الأحداث التي يمر بها ويصفها، وحسب معطيات الجملة وصفات الفعل فإن العنصر الاختياري يكون "سوف" الذي يتناسب مع الفعل "أشرب" ويتم إبعاد العنصر (أمس) من التركيب فنحصل حينها على جملة أصولية وإذا أردنا أن يكون أقرب إلى الواقع الاجتماعي فإننا عنصر (البحر) نت التركيب فتصبح الجملة مقبولة وتكون على النحو الآتي: سوف أشرب ماء.

تصبح الجملة مقبولة وتكون على النحو الآتي: سوف أشرب الماء.

الجمل المقبولة عند تشومسكي هي الجمل الملائمة لمعرفتنا بالعالم المحيط بنا وبالخبرة الاجتماعية والثقافية.

أما الجمل الأصولية فهي ترتبط بالكفاية اللغوية، أي مدى معرفة المتكلم لقواعد لغته، ومن ثم فإننا سنميز في جمل سيبويه بين الجمل المقبولة والجمل الأصولية فيما يلي:

أ- الجمل المقبولة والأصولية نحو: أتيتك أمس.

ب- الجمل المقبولة وغير أصولية نحو: قد زيدا رأيت.

ت- الجمل غير المقبولة ولكنها أصولية نحو حصلت الجبل وشربت ماء البحر.

ث- الجمل غير المقبولة واللا أصولية نحو: 1- أتيتك غدا.

2- سوف أشرب ماء البحر أمس.

إلا أن العناصر التي جعلت الجمل غيره مقبول وغير أصولية واحدة وهي العناصر الزمنية (أتيتك، سوف، أمس).

لقد جعل سيبويه من النحو أداة إجرائية ذات فعالية كبيرة في ضبط صحة الجملة أو فسادها وهذه ما أكد عليه ريوي (Ruwet) بقوله: "إن النحو يجب أن يكون قادرا على الحصر الصريح والواضح لكل الجمل الصحيحة والحسنة التركيب، وطرد كل الجمل ذات التركيب الفاسد الموجودة في اللغة المدروسة[1].

بالنحو الملائم هو الذي يوافق الملكة اللغوية والمعايير النحوية للنظام النحوي، فهو بسيط في صيغته، شكلي، قابل للتعميم على بقية العناصر اللغوية يعمل على توضيح العلاقات التركيبية بكيفية دقيقة وشاملة[2].

[1]- دليلة مزوز، المنحنى الوظيفي في، رسالة سيبويه، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السابع 2010، ص14.

[2]- المرجع نفسه، ص14.

ثالثاً- تبعيّة البنية للوظيفيّة:

لقد تبنّى سيبويه مبدأ الوظيفة من خلال توزيع الحركات الإعرابيّة على مختلف الوظائف؛ دلاليّة، تركيبيّة وتداوليّة، وبطبيعة الحال الحركة الإعرابيّة تعدّ عنصرا من عناصر البنية، فهو يرى أنّ سبب رفع كلمة أو نصبها أو جرّها هو كونها فاعلا أو مفعولا أو تمييزا... ومن ثمّ تكون البنية تابعة للوظيفة، أو بتعبير آخر الوظيفة هي الّتي تحدّد حركة البنية.

من صور ربط سيبويه بين البنيه والوظيفة توجّهه لحكم إلغاء (ظنّ وأخواتها)، وإعمالها توجيها تداوليّا، سيتحضّر فيه المتكلّم وما يريد أن يبلغه، فبعد أن أورد مختلف صور الإلغاء والأعمال الّتي تجيزها اللّغة العربيّة، نبّه إلى أنّه "كلما أردت الإلغاء فالتّأخير أقوى[1]"، ومرجع هذا وعلّته حسب سيبويه لأنّه إنّما تجيء بالشّكّ بعد ما يمضي كلامه على اليقين، أو بعد ما يبتدئ وهو يريد اليقين ثمّ يدركه الشّكّ، كما يقول:(عبد الله صاحبك ذاك بلغني) وكما يقول:(من يقول ذاك تدري)، فأخّر ما لم يعمل في أوّل كلامه، وإنّما جعل ذلك فيما بلغه بعدها مضى كلامه على اليقين وفيما يدري فإذا ابتدأ كلامه على ما في بنيته من الشّكّ أعملا لفعل، قدّم أو أخّر، كما قال:(زيدا رأيت ورأيت زيدا[2])، فيقدّم الإلغاء إذا كان الشّكّ طارئا على ما يراد الاختبار عنه، والاعمال مقدّمة إذا كان الشّكّ في ذهن المتكلّم مربوطا بما يراد الاخبار عنه، ويظهر تقديم الإلغاء جليّا إذا ورد فعل الشّكّ مؤخّرا، لأنّ في تأخيره زيادة تأكيد على انه طارئ .

ركّز سيبويه على بيان الوظيفة التّداوليّة للبدل، وهي حسبه إمّا انتباه المتكلّم لنفسه من أنّ بعض الكلام يحتاج إلى إضافة محدّدة تبيّن جزئية من جزئيّات الكلام، وإمّا توسم المتكلّم سؤالا من المخاطب عن جزئيّة من جزئيّاته، فمن الأوّل ما أورده في باب (من الفعل يستعمل في الاسم ثمّ يبدّل مكان ذلك الاسم اسم آخر فيعمل فيه كما فعل في الأوّل)، حيث ذكر أنّ سبب ايراد البدل في قوله: (رأيت قومك أكثرهم)و (رأيت بني زيد ثلثيهم) و (رأيت بني عمك ناسا منهم) و (رأيت عبد الله شخصه)، هو أن يتكلّم فيقول:(رأيت قومك) ثمّ يبدو

[1]- سيبويه، الكتاب، م1، ص 185.

[2]- المرجع نفسه، ، م1، ص 186.

له أن يبيّن ما الّذي رأى منهم فيقول: (ثلثيهم أوناسا منهم[1])، ومن الآخر توجيهه قول من قال: (مررت برجلين مسلم وكافر)، على البدليّة على أساس افتراض سائل سأل مستوضحا (بأيّ ضرب مررت؟) فيجاب:(مسلم وكافر)، قال سيبويه:" وإن شئت كان المسلم والكافر بدلا، كأنّه أجاب من قال:(بأيّ ضرب مررت؟)[2]"، والأمر نفسه مع مثال آخر هو:(مررت برجل عبد الله) فكأنّه قيل له: (بمن مررت؟) أو ظنّ أن يقال له ذلك، فأبدل مكانه ما هو أعرف منه[3].

التّقديم والتّأخير بين أجزاء الكلام عند سيبويه يعكسه الغاية والمقصد الّذي يقصد هما المتكلّم بكلامه، ويجد المطلع على هذه الأفكار الّتي عالجها سيبويه أنّها كانت بذرة متميّزة رعاها عبد القاهر فيما بعد وطوّرها في كتابه (دلائل الإعجاز)، ومن صور التّقديم والتأخير الّتي عالجها، تقديم الاسم أو الفعل بعد أداة الاستفهام، وما يستتبعه من وظائف تداوليّة تعكس تلك البنية، مثال ذلك قولنا: (1- أزيد عندك أم عمرو، 2- أزيد لقيت أم بشرا)، حيث قدّم المبتدأ عن الخبر في المثال الأوّل وقدّم المفعول على فعله مثال الثّاني، ولو قدّم الخبر على المبتدأ فقيل:(أعندك زيد أم عمرو) أو قدّم الفعل على مفعوله فقيل: (ألاقيت زيدا ام بشرا؟)لكان عربيّا جائزا حسنا، لكنّ البنية الاولى أحسن منها لأنّ في الثّانية قد يتوهّم المتلقّي أنّك تسأل عن العنديّة أو اللّقي، لكن في الاولى الامر محسوم في أنّ المسؤول عنه هو الاسم، يقول سيبويه:" وأعلم أنّك إذا أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن، لأنّك لا تسأله عن اللّقي وإنّما تسأله عن الاسمين لا تدري أيّهما هو، فبدأت بالاسم لأنّك تقصد قصد أن يبيّن لك أيّ الاسمين عنده، وجعلت الآخر عديل للأوّل وصار الّذي لا تسأل عنه بينهما[4]"، ولا شكّ في أنّ الّذي لا يسأل عنه فيهذين المثاليين هو العنديّة واللّقاء، لأنّ هذين الأمرين

[1]- سيبويه، الكتاب، م1، ص 205.

[2]- المرجع نفسه، م1، ص 496.

[3]- المرجع نفسه، م1، ص 16.

[4]- سيبويه، الكتاب، م3، ص 193.

معلومان عند السّائل، فقد علم أنّ ثمّة أحدا عند المسؤول، وأنّه قد حدث لقاء معه لكنّه لا يعلم أهو من زيد أم عمرو، فإذا كانا(اللّقاء والعنديّة) مجهولين حسن تقديمهما على الاسم، فالّذي يلي أداة الاستفهام عادة هو المسؤول عنه، يقول سيبويه: "وتقول: أضربت زيدا ام قتلته؟)فالبدء بالفعل ها هنا أحسن، لأنّك إنّما تسأل عن أحدهما، لا تدري أيّهما كان ولا تسأل عن موضوع أحدهما، فالبدء بالفعل ها هنا أحسن، كما كان البدء بالاسم ثمّ أحسن فيما ذكرنا، كأنّك قلت: (أيّ ذاك كان زيدا؟)، وتقول: (أضربت زيدا أم قتلت زيدا)، لأنك مدّع أحد الفعلين ولا تدري أيّهما هو كأنّك قلت: (أيّ ذاك كان زيد؟)"[1].

في باب آخر يفرّق بين النّوعين في الجملتين الاتيتين:

1–أ. ألقيت زيدا أو عمروا أو خالد 2–أ. أزيدا لقيت أو عمروا أو خالدا

1–ب. أعندك زيد أو عمرو أو خالد 2–ب.أزيد عندك أو عمرو أو خالد

على أساس أنّ السّؤال في النّوع (1) موجّه إلى الفعل أو الخبر، وليس فيه ادّعاء لقاء أو عنديّه، بخلاف جملتين نوع (2)، حيث يتوجّه السّؤال إلى شخص من الاشخاص الثّلاثة لا يدري أيهم كان منه لقاء أو أيّهم عند زيد، قال سيبويه:" تقول: (ألقيت زيدا أو عمروا أو خالدا)، أو تقول: (أعندك زيد أو خالد أو عمرو)، كأنّك قلت: (أعندك أحد من هؤلاء؟)، وذلك لأنّك لمّا قلت:(عندك أحد هؤلاء) لم تدّع أنّ أحدا منهم ثَمَ، ألا ترى أنّه إذا أجابك قال:(لا)، كما يقول إذا قلت: (أعندك أحد من هؤلاء) وأعلم أنّك إذا أردت هذا المعنى فتأخير الاسماء أحسن لأنّك تسأل عن الفعل بمن وقع ولو قلت: (أزيدا لقيت أو عمروا أو خالدا؟) و (أزيد عندك أو عمرو أو خالد؟)، كان هذا في الجواز والحسن بمنزلة تأخير الاسم إذا أردت معنى أيّهما[2]".

[1]– سيبويه، الكتاب، م3، ص 194.

[2]– المرجع نفسه، م3، ص 204.

رابعاً– السّياق ومقاصد الكلام:

اعتمد سيبويه على المقام بمعناه الواسع (بما فيه من متكلّم ومخاطب ومعلومات مشتركة...)، لتفسير ترك أو اضمار أو حذف بعض أجزاء الجملة الّتي تظهر عادة، فالمقام يغني عن المحذوف لأنّه يصير دالّ عليه دلالة مفهوم، فأغنى المفهوم المشاهد عن المنطوق الملفوظ، وإذا كان أساس العمليّة التّواصليّة المخاطب فان الإطناب والحذف أو الايجاز يأتي مراعيا للحالة الّتي يكون عليها لكن بشرط ألّا يؤدّي الحذف إلى لبس، ومن أمثلة ذلك (ذكرها سيبويه حذف اسم كان لعلم المخاطب قول عمر بن شأس :

(بني أسد هل تعلمون بلاءنا *** إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا)

قال سيبويه: "أضمر لعلم المخاطب بما يعني وهو اليوم"[1]، ومن أمثلة ذلك أيضا حذف بعض المعمولات استغناء بعلم المخاطب قوله جلّ وعلا:﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾[سورة الأحزاب: 35].

حيث لمّا أعمل الحافظين والذّاكرين في معمولاتها صار الأمر مع الحافظات والذّاكرات مستغني عنه، يقول سيبويه:" وإنّما أضمر ما كان يقع مظهرا استخفافا ولأنّ المخاطب يعلم ما يعني"[2]، وقال مفسرا سبب حذف المكيال (الكرّ) من قولهم: (البِّر بستين) "وتركو ذرك الكرّ إستغناه بما في صدورهم ما علمه وبعلم المخاطب، لأنّ المخاطب قد علم ما يعني فكأنّه إنّما يسأل هنا عن ثمن الكرّ"

[1]– سيبويه، الكتاب، م1، ص 87.

[2]–المرجع نفسه، م1، ص 283.

إلى غير ذلك من المواضع الّتي فسّرها سيبويه اعتمادا على المقام وعلم المخاطب وإذا كان المقام وعلم المخاطب يسوّغان حذف بعض أجزاء التّراكيب فإنّهما في بعض التّراكيب يمنعان الحذف ويوجبان الذّكر، وقد تنبّه سيبويه لهذا الأمر فذكر أنّ "الفعل يجري في الاسماء على ثلاثة مجار؛ فعل مظهر لا يحسن اضماره، وفعل مضمر مستعمل اظهاره، و فعل مضمر متروك اظهار[1]".

وضابط كل مجرى هو المقام وحالة المخاطب، قال سيبويه موضّحا: "فأمّا الفعل الّذي لا يحسن اضماره فإنّه أن تنتهي إلى رجل لم يكن في ذكر ضرب، ولم يخطر بباله فتقول:(زيدا)، فلا بّد له من أن تقول له:(أضرب زيدا)وتقول له: (قد ضربت زيدا)، وأمّا الموضع الّذي يضمر فيه واظهاره مستعمل فنحو قولك: (زيدا) لرجل في ذكر (ضرب) تريد(أضرب زيدا)، وأمّا الموضع الّذي يضمر فيه الفعل المتروك اظهاره فمن الباب الّذي ذكر فيه (إيّاك) إلى الباب الّذي آخره مرحبا وأهلا"[2].

ويشترط في المبتدأ الّذي يصدّر به الكلام أن يكون معرفة(محيلا) لا نكرة، ذلك أنّ المعرفة تعني أنّ هناك معلومة محدّدة الملامح عند كل من المتكلّم والمتلّقي (مشتركة بينهما)، وأساس أيّ تواصل هو معلومات مشتركة وأخرى غير مشتركة، فلا يمكن أن أحقّق تواصلا مع شخص لا تربطني به أيّ أمور مشتركة، وينطلق عادة من المعلومات المشتركة ثمّ بشيء بغير المشتركة، والنّكرة تعدّ عادة من المعارف غير المشتركة، وحين ينطلق المتكلّم من معلومات غير مشتركة فمعناه أنّ المتلقّي لا يمكن أن يستمرّ في التّواصل لأنّه لم يحقّق تصوّرا واضحا عن المتحدّث عنه، وهذا معناه أنّهما لا يمكن أن يستمرّا نحو تحقيق الغاية المنشودة من التّواصل، لأنّه كما قال سيبويه يؤدي إلى لبس ولذلك جعل النّكرة مرادفة للّبس والالباس، يقول:" ولا يبدأ بما يكون فيه اللّبس وهو النّكرة، ألا ترى أنّك لو قلت: (كان انسان

[1]– سيبويه، الكتاب، م1، ص 354.

[2]– المرجع نفسه، م1، ص 355.

حليما) أو (كان رجل منطلقا)كنت تلبس لأنّه لا يستنكر أن يكون في الدّنيا إنسان هكذا، فكرهوا أن يبدؤوا بما فيه اللّبس ويجعلوا المعرفة خبرا لما يكون فيه هذا اللّبس[1]"، يوضّح سيبويه كيف أنّ الأصل في الكلام أن يكون المبدوء به معرفة فيقول: "إذا قلت:(عبد الله منطلق) تبتدئ بالأعرف ثمّ تذكر الخبر، وبذلك قولك: (كان زيد حليما) و (كان حليما زيد)، لا عليك أقدّمت أم أخّرت، فإذا قلت: (كان زيد) فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك فإنّما ينتظر الخبر، فإذا قلت: (حليما) فقد اعلمته مثلما علمت، فإذا قلت:(كان حليما)فإنّما ينتظر أن تعرّفه صاحب الصّفة، فهو مبدوء به في الفعل، وإن كان مؤخّرا في اللّفظ، فإن قلت: (كان حليم أو رجل) فقد بدأت بنكرة ولا يستقيم أن تخبر المخاطب عن منكور وليس هذا بالّذي ينزل به المخاطب منزلتك في المعرفة[2]"، وإذا كان مدار الأمر على الفائدة الّتي يجنيها المتلقّي وعلى فهمه لموضوع الخطاب فإنّ الفائدة في بعض أساليب الكلام قد تتحقّق بالنّكرة، يقول سيبويه في باب (تخبر فيه عن النّكرة بنكره):" وذلك قولك: (ما كان أحد مثلك)، و (ليس أحد خيرا منك) و (ما كان مجترئا عليك)، وإنّما حسن الأخبار هاهنا عن النّكرة، حيث أردت أن تنفي أن يكون في مثل حاله شيء أو فوقه لأنّ المخاطب قد يحتاج إلى أن تعلمه مثل هذا، وإذا قلت: (كان رجلا ذاهبا) فليس في هذا شيء تعلم كان جهله، ولو قلت: (كان رجل من آل فلان فارسا)حسن، لأنّه قد يحتاج إلى أن تعلمه أنّ ذاك في آل فلان وقد يجهله، ولو قلت: (كان رجل في قوم فارس) لم يحسن لأنّه لا يستنكر أن يكون في الدّنيا فارس وأنا من قوم، فعلى هذا النّحو يحسن ويقبح[3]".

يرى سيبويه أنّه لا يجوز الحذف إلا ّإذا دلّت على المحذوف قرينة في السّياق[4]، وإلاّ كان الكلام هراء لا تحصل به فائدة، ومن النّماذج الّتي أوردها في باب ما يضمر فيه

[1]– سيبويه، الكتاب، م1، ص 87.

[2]– المرجع نفسه، م1، ص 87.

[3]– المرجع نفسه، م1، ص 98.

[4]– المرجع نفسه، م1، ص 173.

الفعل:" وذلك إذا رأيت رجلا متوجّها وجهة الحاجّ قاصدا في هيئة الحاجّ، فقلت:(مكّة وربّ الكعبة)، حيث زَكَنْتُ* أنّه يريد مكّة كأنّك قلت:(يريد مكّة والله...)، أو رأيت رجلا يسدّد سهما قبل القرطاس، فقلت:(القرطاس والله)، حيث أصيب القرطاس، وإذا سمعت وقع السّهم في القرطاس قلت:(القرطاس والله) أي أصاب القرطاس، ولو رأيت ناس ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا، قلت: (الهلال وربّ الكعبة)، أي أبصروا الهلال"[1].

فسيبويه فهو يعلّق على هذه النّماذج العربية الفصيحة يرى أنّها تعبّر عن وظائف كلاميّة معروفة، ويغفل في تحليلها عن السّياق الّذي قيلت فيه والجوّ الاجتماعي او النّفسي الّذي رافق دلالتها[2].

* زَكَنْتُ: أَيْقَنْتُ.

[1]– سيبويه، الكتاب، م1، ص 257.

[2]– صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النّحو العربي وتطبيقاتها، دار الفكر عمّان، الأردن، ط1، 1998م، ص215.

خامساً– المسند والمسند إليه تركيب وظيفي:

يرتبط سيبويه رأسا بالوظيفيّة في اختياره لهذين المصطلحين اللّذين ينبآن عن وظيفتهما التّركيبيّة والدّلاليّة، فالمسند والمسند إليه عقد تتأسّس به الجملة الاسميّة والجملة الفعليّة، وهما عنصران متلازمان لتحقيق الكلام المفيد، "وهما مالا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلّم منه بدّ[1]"، ويضيف السيرافي في شرحه قائلا:" فيه أربعة أوجه أجودها وأرضاها أن يكون المسند معناه الحديث والخبر والمسند إليه المحدث عنه، وذلك على وجهين؛ فاعل وفعل، كقولك: (قام زيد) و (ينطلق عمرو)، واسم وخبر كقولك: (زيد قائم) و(إنّ عمرا منطلق)، فالفعل حديث عن الفاعل والخبر حديث عن الاسم، فالمسند هو الفعل وهو خبر الاسم والمسند اليه هو الفاعل وهو الاسم المخبر عنه"[2]، فالمتكلّم لديه خيارات متعدّدة ينطلق منها لتّوجيه كلامه وتحميله مضمونا يريد إيصاله للسّامع، وهذا المضمون لا يستقيم بعنصر واحد، لأنّ العلاقة الاسناديّة علاقة ثنائيّة تعكس عمليّة الاتصال وبين طرفين، طرف عالم/عارف/متكلم، وطرف جاهل/غير عارف/سامع، ولذا كان المسند في النّحو العربي وحتّى النّحو الوظيفي عنصرا مركزيّا/محوريّا في عمليّة التّخاطب، وعليه يتأسّس الاتّصال فهو يحمل معلومة جديدة.

ففي حديث سيبويه عن المبتدأ نلحظ شدّة احتياج العنصر الأوّل إلى الثّاني، يقول: "المبتدأ أوّل جزء كما كان الواحد أوّل العدد، والنّكرة قبل المعرفة[3]"، ويرتبط هذا الكلام ذو البعد الوظيفي بما قاله اندري مارتينيه (André Martinet)في حديثه عن التّركيب الاسنادي الّذي وصفه بأنّه "أصغر قول لابدّ أن يشمل على عنصرين يشير أحدهما إلى مضمون أو حدث ويشدّ الانتباه إليه ونسمّيه المسند إليه، ويشير الآخر إلى مشارك إيجابي أو سلبي

[1]– سيبويه، الكتاب، ج1، ص 23

[2]– شرح الكتاب، تحقيق رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، ج 2، ص 59

[3]– سيبويه، الكتاب، ج1، ص24

نسمّيه المسند إليه ويكون تقويم دوره أيضا على هذا الأساس، فالإسناد أن تخبر بكلمة او اكثر عن أخرى"[1]، فما يخبر به هو المسند وما يخبر عنه هو لمسند إليه، ولذا عن الفعل والخبر بؤرتي الجملة.

إنّ تأكيد سيبويه على قوّة التّعلّق بين المبتدأ والخبر جعلته يصطلح على الخبر بالمبني عليه، لأنّه به يعقد الكلام، ولا تستقيم الجملة الاسمية إلاّ به، وأفضى هذا التّلازم إلى تشبيهه بالعلاقة بين الجار والمجرور، والفعل والفاعل، يقول:" فالمبتدأ مسند والمبني عليه مسند إليه، فقد عمل هذا فيما بعد كما يعمل الجار والفعل فيما بعد[2]"، فالرّبط الوظيفي بين الخبر والفعل جاء لبيان وظيفة العامل ورتبته، كما عرض لمصطلحات امتزج فيها المدلول اللّغوي والمعنى الصّناعي النّحوي وأعطى رؤية دقيقة للإسناد والمحلّ الإعرابي وحيّز الخبر الذي تشغله كلّ أنواع المفردات والمركّبات من الكلمة الواحدة إلى التّركيب الإسنادي.

فالرّبط بين الفعل والخبر أقرّته الوظيفيّة، بل وجعلته معيارا مهم في العمليّة الإسناديّة، يقول مارتينيه:"الأفعال مونيمات متخصّصة في التّوظيف الاخباري[3]"، "وأنّها ليست لها وظائف أخرى غير الوظائف الإخبارية[4]".

فالجملة الاسميّة ذات طرفين محكومين بعلاقة اسناديّة مجرّدة يميّزها الرّفع الّذي يرسل آخره للعنصرين ارسالا واحدا، فيبدو أن كأنّهما عنصر واحد، وهما من جهة الدّلالة مخبر ومخبر عنه، اذ يتوسّع المتكلّم في حيز الخبر ليزيد السّامع فائدة، ولمّا كان الخبر أساسا في عمليّة الإخبار، وجب التّنوّع فيه بأدوات يوظّفها المتكلّم ويوجّهها حسب مقاصده، فالمعنى يمتدّ ويتقلّص إنّه يسترسل في بنية مجالها الاخبار عن عنصر أوّل محصور ومنته.

---

[1]– أندري مارتينيه، مبادء اللسانيات العامة ترجمة أحمد الحمو، وزارة التعليم العالي، دمشق، 1985، ص 124

[2]– سيبويه، الكتاب، ج2، ص 78.

[3]–د. دليلة مزوز، المنحى الوظيفي في رسالة سيبويه، ص 9.

[4]– المرجع نفسه، ص 10

فالجملة الاسميّة مجال مفتوح على مطلق الاسم والتّجرّد من الزّمن لاسيما في بنيتها الإفرادية (أي عندما يكون الخبر مفردا).

أمّا الجملة الفعليّة فالمجال يختلف فيها باختلاف عناصرها وتنوّعها بين الفعل والاسم وبين اللّزوم والتّعدّي، وأنّ هذا المجال محكوم بالرّتبة والحركة الإعرابيّة، حيث أنّ التّركيب الاسنادي عقد بين الفعل والاسم إذا لا يمكن أن يوجد الفعل إلاّ بوجود الاسم/الفاعل، وهذه البنية نجد سيبويه وغيره من النّحاة يؤكّدون على مفهوم التّسلّط والسّيطرة الإعرابيّة الّتي يمثّلها العامل/الفعل على الاسم.

فالرّفع في الاسم يحدثه الفاعل "لأنّك لم تشغل الفعل بغيره وفرّغته له[1]".

فقوّة الفعل ولدت أنماطا كثيرة في اللّغة العربيّة منها:

النّمط الأوّل: فعل+ فاعل+ مفعول به كتب الطالب مقالة

النّمط الثّاني: فعل+ فاعل+ مفعول به1+ مفعول به2- أعطيت الفقير صدقة

النّمط الثّالث: فعل+ فاعل+ مفعول به1+ مفعول به2+ مفعول به3- أعلمت الكافر محمّد نبيّا مسلما

وبتحوّل البنية مع تغيير الوظيفة في المبني للمجهول تضاف أنماط أخرى وهي:

النّمط الرّابع: فعل مبني للمجهول+ نائب فاعل - كتبت المقال

النّمط الخامس: فعل مبني للمجهول+ نائب فاعل+ مفعول2- أُعْطِي الفقير صدقة

النّمط السادس: فعل مبني للمجهول+ نائب فاعل+ مفعول 2+ مفعول3- أعْلِمَ الكافر محمّد نبيّا مسلما

[1]-سيبويه، الكتاب، م1، ص 33.

فالأثر الّذي يبثّه الفاعل في التّركيب لا يمكن أن يتوقّف عند حدوده بل يتعدّاه إلى عدد من المرفوعات أهمّها نائب الفاعل.

فدلالة نائب الفاعل تتحقّق بمراحل التّحويل الّتي يمرّ بها التّركيب من حذف ونقل وتعويض: "فهذا المعنى الوظيفي رهين نوع المعنى الّذي يختزن في الفعل العامل[1]".

إنّ الشّيء الّذي نظفر به هنا من تحليل سيبويه للبناء للمجهول هو أنّ الحيّز بعد الفعل يكون مرفوعا دائما، حتّى وإن كان مفعولا في المعنى، وبهذا تنفتح أمام الجملة الفعليّة تعدّد الوظائف للمكوّن الواحد، وهي الحالة الوحيدة الّتي يرتدّ فيها المفعول به من حيّز ثالث إلى حيّز ثان، ويخترق مجال الإسناد (العمدة) ليملأ الثّغور وهو نموذج هام من نماذج اللّزوم، إذ يرى سيبويه أنّ الفعل لا يتعدّى إليه، ولهذا جاء كلامه عن الفاعل الّذي لم يتعدّه فعله إلى مفعول و "المفعول الّذي لم يتعدّ إليه فعل فاعل ولم يتعدّه فعله إلى مفعول"، فجعلها سواء إذ أنّه لم يفرق بين الفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول، "فالتّعدية جاءت عنده بالنّظر إلى السّطح بتعبير حديث، ولم تكن تتصبّ على العمق، وتحديدها يعتمد على التّركيب ولا يعتمد على ما قد ينسب من خصائص معجميّة إلى الفعل[2]".

فإذا كان عبد القادر الفاسي الفهري قد نظر إلى تفسير سيبويه على أنّه تفسير سطحي لا ينظر إلى التّركيب، بل يغلبه فيه الفعل باعتباره عاملا، فإنّ قوّة العامل تسري في كلّ عناصر التّركيب وتؤثّر فيها وتعمل على انتظامها وتوليد الدّلالة الّتي تنشأ عن تعدّد العلاقات الوظيفيّة الّتي ينشئها الفعل مع بقيّة العناصر.

[1]–المصنف عاشور، ظاهرة الاسم في التّفكير النّحوي، منشورات كليّة الآداب، منوبة، تونس، 2004م، ص 362.

[2]– عبد القاهر الفاسي الفهري، المعجم العربي نماذج تحليليّة جديدة، دار توبقال للنّضر، المغرب، ط1، 1999م، ص 133-134.

لاحظ سيبويه أنّ الّتركيب المبني للمجهول يحقّق باختزال الفاعل الحقيقي اتّساعا في المعنى، وضرب لنا أمثلة عن نيابة المفعول المطلق نحو: "سير عليه سير شديد، وضرب به ضرب ضعيف، وضرب به ضربتان وسير عليه سيرتان...فجرى على سعة الكلام والاختصار[1]"، وهو بهذا يفسّر لنا بناء التّركيب الإسنادي في استعمال المرفوع بعد الفعل المبني للمجهول.

[1]– سيبويه، الكتاب، م1، ص 42.

خاتمة

خاتمة

وفي الأخير توصلنا إلى مجموعة من النتائج منها:

يقوم الاتجاه الوظيفي على مفهوم الوظيفية ومنه جاءت تسميته، إذ إنّ الباحث هو الذي يسعى إلى الكشف عن القطع الصوتية التي تؤدي وظيفة داخل التركيب أي أنه يبحث عن الوحدات التي يمكنها تغيير المعنى كلما استبدلت بأخرى فتغير مدى الوحدات اللغوية دليل على أن لها وظيفة. وعليه فإن المعنى والوظيفة هما جوهر اهتمامات المدرسة الوظيفية.

– تهتم المدرسة الوظيفية بدراسة نظام اللغة دراسة وظيفية.

– تختلف تصنيفات الوظائف اللغوية من عالم الى آخر، ويمكن النظر إلى الوظيفية على أنها العلاقة القائمة بين العناصر اللغوية، وحين أننا نتحدث عن الوظيفية يجب أن نميز بين معنيين لها:

– الوظيفة باعتبارها صورا أساسيا تقوم به اللغة باعتبار أن اللغة نظام كلي

– والوظيفية باعتبارها علاقة دلالية أو تركيبية تقوم بها مكونات الجملة. وفي هذا السياق فإن رومان جاكسون رصد وظائفا ست للغة والأمر نفسه مع هاليداي، وكل هذه الوظائف تؤول إلى الوظيفة الأساسية للغة وهي وظيفة التواصل وتعد الوظيفة معيارا من المعايير التي تميز بها اللسانيات الوظيفية والتيار الوظيفي يسعى إلى تفسير الخصائص الصورية للغة بربط هدف الخصائص الوظيفية التواصلية للسان، خلافا للنظريات اللسانية التي تذهب إلى ضرورة الفصل بين بنية اللغة ووظيفتها التواصلية.

– تعتمد النظريات الوظيفية فرضية أنه لا يمكن الوقوف على خصائص بنية اللغة إلا إذا تم ربطها بوظيفة التواصل.

خاتمة

وقد جاء سيمون ديك مناصرا للنحو الوظيفي فيبين أن النحو الطامح إلى الكفاية يسعى إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات وهي: الكفاية التداولية، الكفاية النفسية، الكفاية النمطية.

يعد الاتجاه الوظيفي اللغة وسيلة للتواصل أي نسقا رمزيا يؤدي مجموعة من الوظائف، أهمها وظيفة التواصل.

– تحدد الخصائص الوظيفية للغات خصائصها البنيوية.

لقد حمل تراثنا العربي أفكارا وظيفية جد متطورة وجعلت منه توجها وظيفيا في عمقه وأبعاده ومن أمثلة ذلك ما جاء في "الكتاب" لسيبويه.

– جعل سيبويه من البحث الفونيتيكي للأصوات وسيلة لخدمة الأغراض الفونولوجية.

– اهتدى سيبويه إلى ما اصطلح عليه بالسمات المميزة أو الفارقة وفكرتها هي أن الفونيم هو حزمة من السمات الفارقة التي ترد متزامنة، وقد تابعها بشكل مستمر جاكسون حتى صارت نظرية للسمات.

– في "باب الاستقامة في الكلام والإحالة" لسيبويه نجد أنفسنا أمام نظرية نحوية وظيفية تداولية تقوم على تفسير دور المتكلم ومقاصده، ودور السامع في فهم المعنى وتأويله، ونوع السياقات التي تتم فيها عملية التخاطب.

– ثنائية الكفاية اللغوية والأداء الكلامي مبدأ واضح في تفسير سيبويه غير أنه لم يشر إليه صراحة بل كان حملته الأمثلة التي عرضها التحليل.

– لقد جعل سيبويه من النحو أداة اجرائية ذات فعالية كبيرة في ضبط صحة الجملة أو فسادها.

خاتمة

– من صور ربط سيبويه بين البنية والوظيفة توجهه لحكم إلغاء (ظن وأخواتها) وإعمالها توجيها تداوليا، يستحضر فيه المتكلم وما يريد أن يبلغه.

– ركز سيبويه على بيان الوظيفة التداولية للبدل وهي حسبه إما انتباه المتكلم لنفسه من أن بعض الكلام يحتاج إلى إضافة محددة تبين جزئية من جزئيات الكلام وإما توسم المتكلم سؤالا من المخاطب عن جزئية من جزئياته.

– التقديم والتأخير بين أجزاء الكلام عند سيبويه يعكسه الغاية والقصد الذي يقصدهما المتكلم بكلامه.

– اعتمد سيبويه على المقام بمعناه الواسع لتفسير ترك أو اضمار أو حذف بعض أجزاء الجملة التي تظهر عادة فالمقام يغني عن المحذوف لأنه يصير دال عليه دلالة مفهومه.

– يرى سيبويه أن لا يجوز الحذف إلا إذا دلت على المحذوف قرينه في السياق وإلا كان الاكلام هراء لا تحصل به فائدة.

– يؤيد سيبويه على قوة التعلق بين المبتدأ أو الخبر جعلته يصطلح على الخبر بالمبني عليه. لأنه به ينفذ الكلام، ولا تستقيم الجملة الاسمية إلا به وأفضى هذا التلازم إلى تشبيهه بالعلاقة بين الجار والمجرور والفعل والفاعل.

– وفي الأخير لا ندعي أننا ألممنا بكل جوانب الموضوع وأننا قد حققنا علما كنا ننشده فالأحسن دائما عدو الحسن لذا لا نحسب عملنا قد خلص من السهو والنسيان. ونرجو أن نكون قد حققنا بعض الطموح في بحثنا هذا، ونأمل أن نكون قد وفقنا في لفت الانتباه إلى أهمية هذا الجانب. والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر

والمراجع

❖ **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع**

أولا- المصادر والمراجع

1. أحمد المتوكّل، التّركيبات الوظيفيّة قضايا ومقاربات، مكتبة دار الأمان، الرّباط، المغرب، ط،1،2005 م.

2. أحمد المتوكّل، الخطاب الموسّط (مقاربة وظيفيّة موحّدة لتحليل النّصوص والتّرجمة وتعليم اللّغات)، منشورات الإختلاف، دار الأمان، الرّباط، المغرب، ط1، 2011م.

3. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، منشورات عكاظ، 1989.

4. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط2، ت21.

5. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985.

6. أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية "منشورات عكاظ"، الرباط، 1993.

7. أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1986.

8. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية، أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأماني، الرباط، المغرب، 1995.

9. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تر: عبد السّام محمّد هارون، دار الفكر، 1972م، ج6.

10.أحمد محمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتّطوّر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ط2، 2005م.

11.أندري مارتينيه، مبادء اللسانيات العامة تر أحمد الحمو، وزارة التعليم العالي، دمشق، 1985.

12.البريسم قاسم، علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، إفريقيا الشرق المغرب، 2018.

13.بوقرة نعمان، المدارس اللّسانيّة المعاصرة، القاهرة، د ت، د ط.

14.تشومسكي 1965، ص11 نقلا عن ميشال زكريا، الألسنة التوليدية والتحويلية، وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنة) ط1، 1402هـ-1982.

15.الجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني، شكله وشرح غامضة وخرج شواهده ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. 2004.

16.الخطاب الموسط (مقاربة وظيفيّة موحّدة لتحليل النّصوص والتّرجمة وتعليم اللّغات)،

17. سيبويه أبو ستر عمرو بن عثمان، الكتاب تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، التاريخ، بيروت، لبنان.

18. سيبويه، الكتاب، ج2 .

19. شرح الكتاب، تحقيق رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، ج2.

20. صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النّحو العربي وتطبيقاتها، دار الفكر عمّان، الأردن، ط1، 1998م.

21. صلاح رشيد هدى التأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، دار الأمان، الرباط، 2015.

22.عبد القاهر الفاسي الفهري، المعجم العربي نماذج تحليليّة جديدة، دار توبقال للنّضر، المغرب، ط1، 1999م.

23.عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، دار الكتب الجديدة المتحدة لبنان، ط1، 2004.

24.عمر أحمد المختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997.

25. فاطمة طبال بركة، نظرية الالسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1993م.

26. كاترين فوك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

27. مازن الوعرة، نحو نظرية لسانية عربية حديثه التحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلا، دمشق، ط1، 1987م.

28. مالبرج بريتل، علم الأصوات تعريف ودراسة، عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، 1984.

29. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمعجمات واحياء التراث، القاهرة، دط، 1972، ج2

30. محمّد الحناش، البنيويّة في اللّسانيات، دار الرّشاد الحديثة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1401ه/1980م.

31.محمد العبد، العبارة والإشارة دراسة في نظرية الإتصال، مكتبة الآداب القاهرة، ط2، 2007.

32. محمّد بن عبد الكريم، التّصوّف في ميزان الإسلام، دار هومة، الزائر، ط1، 1997م.

33. محمد محمد علي، مدخل اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان ط1، 2004.

34.المصنف عاشور، ظاهرة الاسم في التّفكير النّحوي، منشورات كليّة الآداب، منوبة، تونس، 2004م.

35. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، مج9.

36. ميلكا فينس |اتجاهات البحث اللساني ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح وفاء كامل فايد المشروع القبومي للترجمة، ط2، 2000.

37. نادية رمضان النّجّار، الاتجاه التّداولي والوظيفي في الدّرس اللّغوي، مؤسسة حوس الدّوليّة، ط1، 2013م.

ثانياً– المجلات والدوريات

38.أسمهان ميزان الكتاب لسيبويه مقارنة وظيفية، مجلة لغة كلام المجاد على العدد3.

39. دليلة مزوز، المنحنى الوظيفي في، رسالة سيبويه، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السابع 2010.

40.عبد الرّحمان الحاج صالح، مدخل إلى علم اللّسان الحديث(3)، مجلّة اللّسانيات، المجلّد الثّاني، العدد1، الجزائر، 1972م.

41. ماركاثي، قضايا علم اللغة التطبيقي، دار الثقافة، العدد1، 2005م.

42. محمد العيد رتيمة، النظرية البنيوية الوظيفية العربية وتطبيقاتها في الدرس اللغوي: مجلة اللغة والادب، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها الجزائر، العدد 9، 1996.

43. مسعود صحراوي "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي "مجلة دراسات لغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مجلد 5، العدد 1 أبريل أيونيه 2003 .

44. يحي أحمد، الاتّجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللّغة، مجلّة الفكر الالسنية، تصدّرها وزارة الاعلام، الكويت، المجلد20، العدد3، 1989م.

45. يحيى يعطيش: النحو العربي بين التعصير والتسيير، (مقال)، المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال ندوة تيسركو، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، 2001.

فهرس الموضوعات

المحتويات

شكـــــــر وعـرفـــان

مقـــدمة.....ا

الفصل الأول

الوظيفية: مفهومها وأعلامها

أولاً– مفهوم الوظيفيّة:.....7

ثانياً– أعلام الاتّجاه الوظيفي:.....11

ثالثاً– تصنيف وظائف اللغة: 25

الفصل الثاني

الوظيفية: مبادؤها وأهميتها

أولاً– مبادئ الاتجاه الوظيفي: **36**

ثانياً– منهج الاتجاه الوظيفي: 45

ثالثاً– خصائص الاتجاه الوظيفي:.....47

رابعاً– أهمية الاتجاه الوظيفي: 49

الفصل الثالث

ملامح الوظيفية في الكتاب لسيبويه

أولاً– القيمة الوظيفية للفونيم:.....53

ثانياً– علاقة البنية التركيبية بالبنية الدلالية: 58

ثالثاً– تبعيّة البنية للوظيفيّة:.....62

رابعاً– السّياق ومقاصد الكلام: 65

خامساً– المسند والمسند إليه تركيب وظيفي: 69

الخاتمة..... 75

قائمة المصادر والمراجع 79